اسمه ابراهيم وكانا يختصّان به [1] فلمّا * راى الكيماوية [2] المكان خاليًا * من جمع [3] ثاروا بهم فضرب احدهم يحيى بن تميم على راسه فوقعت السكّين فى عمامته فلم تصنع شيئًا ورفسه يحيى فالقاه على ظهره ودخل يحيى بابًا واغلقه على نفسه فضرب الثانى الشريف فقتله واخذ القايد ابراهيم السيف فقاتل الكيماوية [4] ووقع الصوت فدخل اصحاب الامير يحيى فقتلوا الكيماوية وكان زيّهم زىّ اهل الاندلس فقُتل جماعة من اهل البلد على مثل زيّهم وقيل للامير يحيى انّ هولآء راءهم بعض الناس عند المقدّم بن خليفة واتّفق انّ الامير ابا الفتوح بن تميم * اخا يحيى [5] وصل تلك الساعة الى القصر فى اصحابه قد لبسوا السلاح فمُنع من الدخول فثبت عند الامير يحيى انّ ذلك بوضْع منهما فاحضر المقدّم بن خليفة وامر اولاد اخيه فقتلوه قصاصًا لانّه قتل ابامْ واخرج الامير ابا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم وهى ابنة عمّه ووكّل بهما فى قصر زياد بين المهديّة وسفاقس فبقى هناك الى ان مات يحيى وملك بعده ابنه علىّ [6] سنة تسع وخمسماية فسيّر ابا الفتوح وزوجته بلارة الى ديار مصر فى البحر فوصلا الى اسكندريّة على ما نذكره ان شآء الله، وفيها فى المحرّم قُتل عبد الواحد بن اسماعيل بن احمد بن محمّد ابو المحاسن الروياني الطبرىّ الفقيه الشافعىّ مولده سنة خمس عشرة واربعماية وكان حافظًا للمذهب ويقول لو احترقتْ كُتُب الشافعىّ لامليتُها من قلبى، وفيها فى جمادى الاخرة توفّى الخطيب ابو زكريّآء يحيى بن علىّ التبريزىّ الشيبانىّ اللغوىّ صاحب التصانيف المشهورة وله شعر ليس بالجيد، وفيها فى رجب توفّى السيّد ابو هاشم زيد الحسنىّ العلوىّ رئيس همذان وكان نافذ الحكم ماضى الامر وكانت مدّة رياسته نيّفا سبع واربعين سنة وجدّه لامّه الصاحب * ابو القاسم [7]

---

[1]) Add. C. P. وكان اصحاب الكيميآء ايضا ثلاثة. [2]) C. P. راوا [3]) Om. B. [4]) C. P. الكيميانية. [5]) Om. C. P. [6]) C. P. يحيى. [7]) Om. C. P.

Digitized by Google

ابن عبّاد وكان عظيم المال جدًّا فمن ذلك انّه اخذ منه السلطان محمّد فى دفعة واحدة سبع ماية الف دينار لم يبعْ لاجلها ملكًا ولا استدان دينارًا [1] واقام بعد ذلك بالسلطان [2] محمّد عدّة شهور فى جميع ما يريده وكان قليل المعروف، وفيها فى ذى الحجّة توفّى ابو الفوارس الحسن بن علىّ الخازن الكاتب المشهور بجودة الخطّ وله شعر منه

عنّت الدنيا لطالبها ... واستراح الزاهدُ الفَطِنُ
عرف الدنيا فلم يرها ... سواه حظّه الفِتَنُ
كلّ ملك نال زُخرفَها ... حظّهُ ممّا حَوى كَفَنُ
يَقْتنى مالًا ويتركه ... فى كلّى الحالَيْن مفتتَنُ
أُمَلى كَوْنى على ثقة ... من لقآء الله مُرتهَنُ
اكره الدنيا وكيف بها ... والذى تسخو به وسَنُ
لم تَدُمْ قبلى على احد ... فلما ذا الهمّ والحزنُ

* وقيل توفّى سنة تسع وتسعين واربعماية وقد ذُكر هناك [3] *

ثمّ دخلت سنة ثلاث وخمسماية، سنة ٥٠٣

ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام

فى هذه السنة حادى عشر ذى الحجّة ملك الفرنج طرابلس، وسبب ذلك انّ طرابلس كانت قد صارت فى حكم صاحب مصر ونايبه فيها والمدد ياتى اليها منه وقد ذكرنا ذلك سنة احدى وخمسماية، فلمّا كان هذه السنة اوّل شعبان وصل اسطول كبير من بلد الفرنج فى البحر ومقدّمهم قمّص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال والسلاح والميرة فنزل على طرابلس وكان نازلًا عليها قبله السردانى ابن اخت صنجيل وليس بابن اخت هذا ريمند هو قمّص آخر فجرى بينهما فتنة ادّت الى الشرّ والقتال

---

1) B. دينا. 2) B. عند السلطان. 3) Om. C. P.

Digitized by Google

فوصل طنكرى صاحب انطاكية اليها معونةً للسردانى ووصل الملك بغدوين صاحب القدس فى عسكره فاصلح بينهم ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس وشرعوا فى قتالها ومضايقة اهلها من اوّل شعبان والصقوا ابراجهم بسورها فلمّا راى الجند واهل البلد ذلك سقط فى ايديهم وذلّت نفوسهم وزادهم ضعفًا تاخّر الاسطول المصرىّ عنهم بالميرة والنجدة وكان سبب تاخّره له انّه فرغ منه والحثّ[1] عليه واختلفوا فيه اكثر من[2] سنة وسار فردّته الريح فتعذّر عليهم الوصول الى طرابلس ليقضى الله امرًا كان مفعولًا وسدّ الفرنج القتال عليها من الابراج والزحف فهجموا على البلد وملكوه عنوةً وقهرًا يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجّة من السنة ونهبوا ما فيها واسروا الرجال وسبوا النسآء والاطفال ونهبوا الاموال وغنموا من اهلها من الاموال والامتعة وكُتُب دور العلم الموقوفة ما لا يحدّ ولا يحصى فانّ اهلها كانوا من اكثر اهل البلاد اموالًا وتجارة وسلم الوالى الذى كان بها وجماعة من جندها كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فوصلوا الى دمشق وعاقب الفرنج اهلها بانواع العقوبات واخذت دفاينهم وذخايرهم فى مكامنهم ۞

ذكر ملك الفرنج جُبيل وبانياس[3]

لمّا فرغ الفرنج من طرابلس سار طنكرى صاحب انطاكية الى بانياس وحصرها وافتتحها وآمن اهلها ونزل مدينة جُبيل وفيها فخر الملك بن عمّار الذى كان صاحب طرابلس وكان القوت فيها قليل فقاتلها الى ان ملكها فى الثانى والعشرين من ذى الحجّة من السنة بالامان وخرج فخر الملك بن عمّار سالمًا ووصل عُقَيْب ملْك طرابلس الاسطول المصرىّ بالرجال[4] والمال والغلال وغيرها ما يكفيهم سنة فوصل الى صور بعد اخذها بثمانية ايّام للقضا النازل باهلها وفرقت الغلال لله فيه والذخاير فى الجهات المنفذة اليها صور وصيدا وبيروت ۞

---

[1]) B. وارتجت. [2]) B. add. كل. [3]) Om. C. P. [4]) B.

وامّا فخر الملك بن عمّار فانّه قصد شَيْزر فاكرمه صاحبها الامير سلطان ابن علىّ بن مُنقذ الكنانىّ واحترمه وسأله ان يقيم عنده فلم يفعل وسار الى دمشق فانزله طغتكين صاحبها واجزل له فى الحمل والعطية واقطعه اعمال الزبدانى * وهو عمل كبير[1] من اعمال * دمشق وكان[2] ذلك فى المحرّم سنة اثنتين وخمسماية ✿

ذكر الحرب بين محمّد خان وساغربك[3]

فى هذه السنة عاد ساغربك وجمع العساكر الكثيرة من الاتراك وغيرهم وقصد اعمال محمّد خان بسمرقند وغيرها فارسل محمّد خان الى سنجر يستنجده فسيّر اليه الجنود واجتمع معه ايضًا كثير من العساكر وسار الى ساغربك فالتقوا بنواحى الخشب واقتتلوا فانهزم ساغربك وعساكره واخذت السيوف منهم ماخذها وكثر الاسر فيهم والنهب فلمّا فرغوا من حربهم وامن محمّد خان من شرّ ساغربك عاد العسكر السنجرىّ الى خراسان فعبروا النهر الى بلخ ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى المحرّم سيّر السلطان وزيره نظام الملك احمد بن نظام الملك الى قلعة ألَموت لقتال الحسن بن الصبّاح ومَن معه من الاسماعيليّة فحصروهم وهجم الشتآء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضًا، وفيها فى ربيع الآخر قدم السلطان الى بغداذ وعاد عنها فى شوّال من السنة ايضًا، وفيها فى شعبان توجّه الوزير نظام الملك الى الجامع فوثب به الباطنيّة فضربوه بالسكاكين وجُرح فى رقبته فبقى مريضًا مدّة ثم برأ وأُخذ الباطنىّ الذى جرحه فسُقى الخمر حتّى سكر ثم سُئل عن اصحابه فاقرّ على جماعة بمسجد المامونيّة فأُخذوا وقُتلوا، * وفيها عُزل وزير الخليفة وهو ابو المعالى بن المطّلب ووزّر بعده الزعيم ابو القاسم بن جهير فخرج ابن المطّلب من دار

---

[1]) Om. B. [2]) Om. C. P. [3]) B. ubique ساغوبك.

Digitized by Google

الخليفة مستترًا هو واولاده واستجار بدار السلطان[1] ، وفيها جهّز يحيى بن تميم صاحب افريقية خمسة عشر شينيًا وسيّرها الى بلاد الروم فلقيها اسطول الروم وهو كبير فقاتلوهم واخذوا ستّ قطع من شوانى المسلمين ولم ينهزم بعد ذلك ليحيى جيش فى البحر والبرّ وسيّر ابنَهُ ابا الفتوح الى مدينة سفاقس واليًا عليها فثار به اهلها فنهبوا قصره وهمّوا بقتله فلم يزل يحيى يعمل الحيلة عليهم حتّى فرّق كلمتهم وبدّد شملهم وملك رقابهم فسجنهم وعفا عن دمآيهم وذنوبهم، وفيها توفّى الامير ابراهيم ينّال صاحب آمد وكان قبيح السيرة مشهورًا بالظلم فجلا كثير من اهلها لجوره وملك بعده ولده وكان اصلح حالًا منه، وفيها فى ثامن ذى القعدة ظهر فى السمآء كوكب من الشرق له ذوابة ممتدّة الى القبلة وبقى يطلع الى آخر ذى الحجّة ثم غاب ✿

سنة ٥٠٤ ثم دخلت سنة اربع وخمسماية،

ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا

فى هذه السنة فى ربيع الآخر ملك الفرنج مدينة صيدا من ساحل الشام، وسبب ذلك انّه وصل فى البحر الى الشام ستّون مركبًا للفرنج مشحونة بالرجال والذخاير مع بعض ملوكهم ليحجّ البيت المقدّس * وليغزو بزعمه المسلمين[2] فاجتمع بهم بغدوين ملك القدس وتقرّرت القاعدة بينهم ان يقصدوا بلاد الاسلام فرحلا من القدس ونزلا مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة وضايقوها برًّا وبحرًا وكان الاسطول المصرىّ مقيمًا على صور فلم يقدر على انجاد صيدا فعمل الفرنج برجًا من الخشب واحكموه وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة وزحفوا به فلمّا عاين اهل صيدا ذلك ضعفت نفوسهم واشفقوا ان يصيبهم مثل ما اصاب اهل بيروت فارسلوا

---

[1]) Om. C. P. [2]) Om. C. P.

Digitized by Google

قاضيها ومعه جماعة من شيوخها الى الفرنج وطلبوا من ملكهم الامان فامنهم على انفسهم واموالهم والعسكر الذى عندهم ومَنْ اراد المقام به عندهم آمنوه ومَن اراد المسير عنهم لم يمنعوه وحلف لهم على ذلك فخرج الموالى وجماعة كثيرة من اعيان اهل البلد فى العشرين من جمادى الاولى الى دمشق واقام بالبلد خلق كثير تحت الامان وكانت مدّة الحصار سبعة واربعين يومًا ورحل بغدوين عنها الى القدس ثم عاد الى صيدا بعد مدّة يسيرة فقرّر على المسلمين الذين اقاموا بها عشرين الف دينار فافقرهم * واستغرق اموالهم[1] ۞

ذكر استيلاء المصريّين على عسقلان

كانت عسقلان للعلويّين المصريّين ثم انّ الخليفة الآمر باحكام الله استعمل عليها انسانًا يعرف بشمس الخلافة فراسل بغدوين ملك الفرنج بالشام وهادنه واهدى اليه مالًا وعروضًا فامتنع به من احكام المصريّين عليه الّا فيما يريد من غير مجاهرة بذلك، فوصلت الاخبار بذلك الى الآمر باحكام الله صاحب مصر والى وزيره الافضل[2] امير الجيوش فعظم الامر عليهما وجهّزا عسكرًا وسيّراه الى عسقلان مع قايد كبير من قوّاده واظهرا انّه يريد الغزاة ونفذا الى القايد سرًّا ان يقبض على شمس الخلافة اذا حضر عندهم ويقيم هو عوضه بعسقلان اميرًا، فسار العسكر فعرف شمس الخلافة الحال فامتنع من الحضور عند العسكر المصرىّ وجاهر بالعصيان واخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفًا منهم فلمّا عرف الافضل ذلك خاف ان سلّم عسقلان الى الفرنج فارسل اليه وطيّب قلبه وسكّنه واقرّه على عمله واعاد عليه اقطاعه بمصر، ثم انّ شمس الخلافة خاف اهل عسقلان فاحضر جماعة من الارمن واتّخذهم جندًا ولم يزل على هذه الحال الى آخر سنة اربع وخمسماية فانكر الامر اهل البلد فوثب به قوم من اعيانه وهو

---

[1]) Om. B. [2]) B. add. بن.

Digitized by Google

راكب فجرحوه فانهزم منهم الى داره فتبعوه وقتلوه ونهبوا داره وجميع ما فيها ونهبوا بعض دور غيره من ارباب الاموال بهذه الحجّة وارسلوا الى مصر بجليّة الحال الى الآمر والافضل فسرّا بذلك واحسنا الى الواصلين بالبشارة وارسلا اليه واليًا يقيم به ويستعمل مع اهل البلد الاحسان وحُسن السيرة فتمّ ذلك وزال ما كانوا يخافونه ❁

ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب وغيره

في هذه السنة جمع صاحب انطاكية عساكره من الفرنج وحشد الفارس والراجل وسار نحو حصن الاثارب وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ وحصره ومنع عنه الميرة فضاق الامر على مَن به من المسلمين فنقبوا من القلعة نقبًا قصدوا ان يخرجوا منه الى خيمة صاحب انطاكية فيقتلوه فلمّا فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استامن اليه صبيٌّ ارمنيٌّ فعرّفه الحال فاحتاط واحترز منهم وجدّ في قتالهم حتّى ملك الحصن قهرًا وعنوةً وقتل من اهله الفَيْ رجل وسبا واسر الباقين، ثمّ سار الى حصن زردنا فحصره ففتحه وفعل باهله مثل الاثارب فلمّا سمع اهل منبج بذلك فارقوها خوفًا من الفرنج وكذلك اهل بالس وقصد الفرنج البلدَيْن فراوها وليس بهما انيسٌ فعادوا عنها، وسار عسكر من الفرنج الى مدينة صيدا فطلب اهلها منهم الامان فامنوهم وتسلّموا البلد فعظم خوف المسلمين منهم وبلغت القلوب الحناجر وايقنوا باستيلاء الفرنج على ساير الشام لعدم الحامي له والمانع عنه فشرع اصحاب البلاد الاسلاميّة بالشام في الهدنة معهم فامتنع الفرنج من الاجابة الّا على قطيعة ياخذونها الى مدّة يسيرة فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين الف دينار وغيرها من الخيول والثياب وصالحهم صاحب صور على سبعة الاف دينار وصالحهم ابن مُنقذ صاحب شَيْزر على اربعة الاف دينار وصالحهم علىّ الكردىّ صاحب حماة على الفَيْ دينار وكانت مدّة الهدنة الى وقت ادراك الغلّة وحصادها، ثمّ انّ مراكب

اقلعت من ديار مصر فيها التجار ومعهم الامتعة الكثيرة فوقع عليها مراكب الفرنج فاخذوها وغنموا ما مع التجار واسروهم فسار جماعة من اهل حلب الى بغداد مستنفرين على الفرنج فلمّا وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهآء وغيرهم فقصدوا جامع [1] السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلوة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان انفاذ العساكر للجهاد وسيّر من دار الخلافة منبرًا الى جامع السلطان فلمّا كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم اهل بغداد فمنعهم حاجب الباب من الدخول فغلبوه على ذلك ودخلوا الجامع وكسروا شبّاك المقصورة وهجموا [2] الى المنبر فكسروه وبطلت الجمعة ايضًا فارسل الخليفة الى السلطان فى المعنى يامره بالاهتمام بهذا الفتق ورفْعه فتقدّم حينيذ الى من معه من الامرآء بالمسير الى بلادهم والتجهّز للجهاد وسيّر ولدَهُ الملك مسعود مع الامير مودود صاحب الموصل وتقدّموا الى الموصل ليلتحق بهم الامرآء ويسيرون الى قتال الفرنج وانقضت السنة وساروا فى سنة خمس وخمسماية * وكان ما نذكره ان شآء الله تعالى [3] ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة عُزل نظام الملك احمد من وزارة السلطان ووزر بعده الخطير محمّد بن الحسين الميبذىّ، وفيها ورد رسول ملك الروم * الى السلطان [4] يستنفره على الفرنج وبحثّه على قتالهم ودَفْعهم عن البلاد وكان وصوله قبل وصول اهل حلب وكان اهل حلب يقولون للسلطان اما تتّقى الله تعالى ان يكون ملك الروم اكثر حميّة منك للاسلام حتّى قد ارسل اليك فى جهادهم، وفيها فى رمضان زُفّت ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة وزُيّنت بغداد وعُلّقتْ وكان بها فرحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها، * وفيها هبّت بمصر

---

[1]) Om. B. [2]) B. ودخلوا. [3]) Om B. [4]) Om. B.

Digitized by Google

ريح سوداء اظلمت بها الدنيا واخذت بانفاس الناس ولم يقدر احد بفتح عينيه ومَنْ فتحها لا يبصر يده ونزل على الناس رمل ويبس الناس من الحياة وايقنوا بالهلاك ثم تجلّا قليلًا وعاد الى الصفوة وكان ذلك من اوّل وقت العصر الى بعد المغرب[1] ، وفيها * في المحرّم[2] توفّي الكيا الهرّاس الطبريّ واسمه * ابو الحسن[3] عليّ بن محمّد بن عليّ وكان من اعيان الفقهاء الشافعيّة اخذ الفقه عن امام الحرمَيْن الجوينيّ ودرّس بعده في النظاميّة ببغداذ وتوفّي بها ودُفن عند تربة الشيخ ابي اسحاق ودرّس بعده في النظاميّة الامام ابو بكر الشاشيّ ، وفيها توفّي ابو الحسين ادريس بن حمزة بن عليّ الرمليّ الفقيه الشافعيّ من اهل الرملة بفلسطين تفقّه على ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسيّ وعلى الشيخ ابي اسحاق الشيرازيّ ودخل خراسان وولي التدريس بسمرقند فتوفّي بها *

سنة ٥٥٥ ثم دخلت سنة خمس وخمسماية

ذكر مسير العساكر الى قتال الفرنج

في هذه السنة اجتمعت العساكر لله امرها السلطان بالمسير الى قتال الفرنج فكانوا الامير مودود صاحب الموصل والامير سكمان القطبيّ صاحب تبريز وبعض ديار بكر والامير ايلبكي وزنكي ابنا بُرسق ولهما هذان وما جاورها والامير احمديل وله مراغة وكوتب الامير ابو الهيجاء صاحب اربل والامير ايلغازي صاحب ماردين والامراء البكجيّة باللحاق بالملك مسعود ومودود فاجتمعوا ما عدا الامير ايلغازي فانّه سيّر ولده اياز واقام هو فلمّا اجتمعوا ساروا الى بلد سنجار[4] ففتحوا عدّة حصون للفرنج وقتل من بها منهم وحصروا مدينة الرها مدّة ثم رحلوا عنها من غير ان يملكوها * وكان سبب رحيلهم عنها انّ الفرنج اجتمعت جميعها فارسها وراجلها وساروا الى

---

[1]) Om. C. P. [2]) Om. C. P. [3]) Om. C. P. [4]) C. P. الساحل.

Digitized by Google

الفرات ليعبروها ليمنعوا الرها من المسلمين فلمّا وصلوا الى الفرات بلغهم كثرة المسلمين فلم يقدموا عليه واقاموا على الفرات فلمّا راى المسلمون ذلك رحلوا عن الرها الى حرّان ليطمع الفرنج ويعبروا الفرات اليهم ويقاتلوهم فلمّا رحلوا عنها جآء الفرنج ومعهم الميرة والذخاير الى الرها فجعلوا فيها كلّما يحتاجون اليه بعد ان كانت قليلة الميرة وقد اشرفت على ان يوخذوا واخذوا كلّ من فيه عَجْز وضَعْف وفقر وعادوا الى الفرات فعبروها الى الجانب الشامىّ وطرقوا اعمال حلب فافسدوا ما فيها ونهبوها وقتلوا فيها واسروا وسبوا خلقًا كثيرًا ، وكان سبب ذلك انّ الفرنج لمّا عبروا الى الجزيرة خرج الملك رضوان صاحب حلب الى ما اخذه الفرنج من اعمالها فاستعاد بعضه ونهب منهم وقتل فلمّا عادوا عبروا الفرات فعلوا باعماله ما فعلوا ، وامّا العسكر السلطانىّ فانه لمّا سمع بعود الفرنج وعبورهم الفرات رحلوا الى الرها وحصروها فراوا امرًا محكمًا قد قويت نفوس اهلها بالذخاير التى تُركت عندهم وبكثرة المقاتلين عنهم ولم يجدوا فيها مطمعًا فرحلوا عنها [1] وعبروا الفرات فحصروا قلعة تلّ باشر خمسة واربعين يومًا ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضًا ، ووصلوا الى حلب فاغلق الملك رضوان ابواب البلد ولم يجتمع بهم ثم مرض هناك الامير سكمان القطبىّ فعاد مريضًا فتوفّى فى بالس فجعله اصحابه فى تابوت وحملوه عايدين الى بلاده فقصدهم ايلغازى ليباخذهم ويغنم ما معهم فجعلوا تابوته فى القلب وقاتلوا بين يدَيْه فانهزم ايلغازى وغنموا ما معه وساروا الى بلادهم ، ولمّا غلق الملك رضوان ابواب حلب ولم يجتمع بالعساكر السلطانيّة رحلوا الى معرّة النعمان واجتمع بهم طغتكين صاحب دمشق ونزل على الامير مودود فاطلع من الامرآء على نيّات فاسدة فى حقّه فخاف ان توخذ منه دمشق فشرع فى مهادنة الفرنج سرًّا

---

[1]) Om. C. P. inde a وكان سبب الخ.

Digitized by Google

وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين فلم يتمّ ذلك وتفرّقت العساكر، وكان سبب تفرّقهم انّ الامير *بُرسق بن[1] برسق الذى هو اكبر الامرآء كان به نقرس فهو يحمل فى محفّة ومات سكمان القطبىّ كما ذكرنا واراد الامير احمديل صاحب مراغة العود[2] ليطلب من السلطان ان يقطعه ما كان لسكمان من البلاد واتابك طغتكين صاحب دمشق خاف الامرآء على نفسه فلم ينصحهم الّا انه حصل بينه وبين مودود صاحب الموصل مودّة وصداقة فتفرّقوا لهذه الاسباب وبقى مودود وطغتكين بالمعرّة فساروا منها ونزلوا على نهر العاصى، ولمّا سمع الفرنج بتفرّق عساكر الاسلام طمعوا وكانوا قد اجتمعوا كلّهم[3] بعد الاختلاف والتباين وساروا الى فامية فسمع بهم سُلطان بن مُنقذ صاحب شَيْزر فسار الى مودود وطغتكين وهوّن عليهما امر الفرنج وحرّضهما على الجهاد فرحلوا الى شيزر ونزلوا عليها ونزل الفرنج بالقرب منهم فضيّق عليهم عسكر المسلمين الميرة ولذوهم بالقتال والفرنج يحفظون نفوسهم ولا يعطون مصافًّا فلمّا راوا قوّة المسلمين عادوا الى فامية وتبعهم المسلمون فتخطّفوا من ادركوه فى ساقتهم وعادوا الى شيزر فى ربيع الاوّل ☆

ذكر حصر الفرنج مدينة صور

لمّا تفرّقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصرها فساروا اليها مع الملك بغدوين[4] صاحب القدس وحشدوا وجمعوا ونازلوها وحصروها فى الخامس والعشرين من جمادى الاولى وعملوا عليها ثلاثة ابراج خشب علوّ البرج سبعين ذراعًا وفى كلّ برج الف رجل ونصبوا عليها المجانيق والصقوا *احدها الى[5] سور البلد واخلوه من الرجال وكانت صور للآمر باحكام الله العلوىّ ونايبه بها عزّ الملك الاعزّ فاحضر اهل البلد واستشارهم فى حيلة يدفعون

---

[1]) Om. C. P. [2]) B. الغدر. [3]) B. [4]) B. بردويل; C. P. بردوين.
[5]) Om. B.

Digitized by Google

بها شرّ الابراج عنهم فقام شيخ من اهل طرابلس وضمن على نفسه احراقها واخذ معه الف رجل بالسلاح التامّ ومع كلّ رجل منهم حُزمة حطب فقاتلوا الفرنج الى ان وصلوا الى البرج الملتصق بالمدينة فالقى الحطب من جهاته والقى فيه النار ثمّ خاف ان يشتغل الفرنج * الذين فى البرج [1] باطفآء النار ويتخلّصوا فرماهم بجراب كان قد اعدّها مملوة من العذرة فلمّا سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرايحة والتلويث فتمكّنت النار منه فهلك كلّ من به الّا القليل واخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب ثمّ اخذ سلال العنب الكبار وترك فيها الحطب الذى قد سقاه بالنفط والزفت والكتان والكبريت ورماهم سبعين سلّة واحرق البرجَيْن الآخرين، ثمّ انّ اهل صور حفروا سراديب تحت الارض ليسقط فيها الفرنج اذا زحفوا اليهم ولينخسف برج ان عملوه وسيّروه اليهم فاستامن نفر من المسلمين الى الفرنج واعلموهم بما عملوه فحذروا منها، وارسل اهل البلد الى اتابك طغتكين صاحب دمشق يستنجدونه ويطلبونه ليسلّموا البلد اليه فسار فى عساكره الى نواحى بانياس وسيّر اليهم نجدة مايَتَىْ فارس فدخلوا البلد فامتنع مَن فيه بهم واشتدّ قتال الفرنج خوفًا من اتّصال النجدات ففنى نشّاب الاتراك فقاتلوا بالخشب وفنى النفط فظفروا بسرب تحت الارض فيه نفط لا يعلم مَنْ خَزَنَهُ، ثمّ انّ عزّ الملك صاحب صور ارسل الاموال الى طغتكين ليكثر من [2] الرجال ويقصدهم ليملك البلد فارسل طغتكين طايرًا فيه رقعة ليعلمه وصول المال ويامره ان يقيم مركبًا بمكان ذكره لتجى الرجال اليه فسقط الطاير على مركب الفرنج فاخذه رجلان مسلم وافرنجىّ فقال الفرنجىّ نطلقه [3] لعلّ فيه فرجًا لهم فلم يمكنه المسلم وحمله الى الملك بغدوين فلمّا وقف عليه سيّر مركبًا الى مكان الذى

---

[1]) Om. B. [2]) B. add. تجنيد. [3]) B. نرسله.

Digitized by Google

ذكره طغتكين وفيه جماعة من المسلمين الذين استامنوا اليه من صور فوصل اليهم العسكر فكلّموهم بالعربيّة فلم ينكروهم وركبوا معهم فاخذوهم أُسَرا وحملهم الى الفرنج فقتلوهم وطمعوا فى اهل صور فكان طغتكين يغير على اعمال الفرنج من جميع جهاتها وقصد حصن الحبيس فى السواد من اعمال دمشق وهو للفرنج فحصره وملكه بالسيف وقتل كلّ من فيه وعاد الى الفرنج الذين على صور وكان يقطع الميرة عنهم فى البرّ فاحصروها فى البحر وخندقوا عليهم ولم يخرجوا اليه فسار الى صيدا واغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحريّة واحرق نحو عشرين مركبًا على الساحل وهو مع ذلك يواصل اهل صور بالكتب يامرهم بالصبر والفرنج يلازمون قتالهم وقاتل اهلُ صور قتال من ايس من الحيوة فدام القتال الى اوان ادراك الغلّات فخاف الفرنج انّ طغتكين يستولى على غلّات[1] بلادهم فساروا عن البلد عاشر شوّال الى عكّه وعاد عسكر طغتكين اليه واعطاهم اهل صور الاموال وغيرها ثم اصلحوا ما تشعّث من سورها وخندقها وكان الفرنج قد طمّوه ☆

ذكر انهزام الفرنج بالاندلس

فى هذه السنة خرج اذفونش الفرنجىّ صاحب طُلَيْطلة بالاندلس الى بلاد الاسلام بها يطلب ملكها والاستيلاء عليها وجمع وحشد فاكثر وكان قد قوى طمعه فيها بسبب موت امير المسلمين يوسف ابن تاشفين فسمع امير المسلمين علىّ بن يوسف بن تاشفين الخبر فسار اليه فى عساكرها وجموعه فلقيه فاقتتلوا واشتدّ القتال وكان الظفر للمسلمين وانهزم الفرنج وقُتلوا قتلًا ذريعًا وأُسر منهم بشر كثير وسبى منهم وغنم من اموالهم ما يخرج من الاحصاء فخافه الفرنج بعد ذلك وامتنعوا من قصد بلاده وذلّ اذفونش حينيذ وعلم انّ

---

[1]) B. غلال.

Digitized by Google

فى البلاد حاميًا لها وذابًّا عنها ❁ وفى هذه السنة * فى جمادى الآخرة [1] توفّى الامام ابو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالىّ الامام المشهور ❁

ثم دخلت سنة ستّ وخمسماية ، سنة ٥٠٦

فى هذه السنة * فى المحرّم [2] سار مودود صاحب الموصل الى الرها فنزل عليها ورءا عسكره زروعها ورحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك واهمل الفرنج ولم يحترز منهم فلم يشعر الّا وجوسلين صاحب تلّ باشر قد كبسهم وكانت دوابّ العسكر منتشرة فى المرعى فاخذ الفرنج كثيرًا منها وقتلوا كثيرًا من العسكر فلمّا تاهّب المسلمون للقآيه عاد عنهم الى سروج ، وفيها رحل السلطان محمّد من بغداذ وكان مقامه هذه المرّة خمسة اشهر فلمّا وصل الى اصبهان قبض على زين الملك ابى سعد القمّىّ وسلّمه الى الامير كامبار لعداوة بينهما فلمّا وصل الى الرىّ اركبه كامبار على دابّة بمركب ذهب واظهر انّ السلطان خلع عليه على مال قرّره عليه فحصل بذلك مالًا كثيرًا من اهل القمّىّ ثم صلبه وكان سبب قبضه انّه كان يكثر الطعن على الخليفة والسلطان ، وفيها كان ببغداذ رجل مغربىّ يعمل الكيميا بزعمه اسمه ابو علىّ فحُمل الى دار الخلافة وكان آخر العهد به ، وفيها ورد الى بغداذ يوسف بن ايّوب الهمذانىّ الواعظ وكان من الزهّاد العابدين فوعظ الناس بها فقام اليه رجل متفقّه يقال له ابن السقّاء فاذاه فى مسئلة وعاوده فقال له اجلس فانى اجد من كلامك رايحة الكفر ولعلّك تموت على غير دين الاسلام فاتّفق بعد مُدَيْدة انّ ابن السقّاء خرج الى بلاد الروم وتنصّر ، وفيها فى ذى القعدة سُمع ببغداذ صوت هدّة عظيمة ولم يكن بالسمآء غيم حتّى يظنّ انّه صوت رعد ولم يعلم احد اىّ صوت كان ، وفيها توفّى بسيل [3] الارمنىّ صاحب * الدروب

---

[1]) Om. B. [2]) Om. B. [3]) B. الامير.

Digitized by Google

ببلاد[1] ابن لاون فسار طنكرى صاحب انطاكية اوّل جمادى الآخرة الى بلاده طمعًا فى ان يملكها فمرض فى طريقه فعاد الى انطاكية فمات ثامن جمادى [الاخرة] وملكها بعده ابن اخته سرخالة[2] واستقام الامر فيها بعد ان جرى بين الفرنج خلف[3] بسببه فاصلح بينهم القسوس والرهبان، وفيها توفّى قراجه[4] صاحب حمص وكان ظالمًا وقام ولده قرجان[5] مكانه وكان قبله فى قبح السيرة، وفى هذه السنة توفّى المعمّر بن علىّ ابو سعد بن ابى عمامة الواعظ البغدادىّ ومولده سنة تسع وعشرين واربعماية * وكان له خاطر حادّ ومجون حسن وكان الغالب على وعظه اخبار الصالحين[6]، وتوفّى احمد بن الفرج بن عمر الدينورىّ والد شُهدة وكان يروى عن ابى يعلى بن الفرّاء وابن المامون وابن المهتدى وابن النقور وغيرهم وكان حسن السيرة متزهّدًا، وتوفّى ابو العلاء صاعد بن منصور بن اسماعيل بن صاعد الخطيب النيسابورىّ وكان من اعيان الفقهاء وولى قضاء خوارزم وكان يروى الحديث *

سنة ٥٠٧

ثمّ دخلت سنة سبع وخمسماية

ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود

فى هذه السنة فى المحرّم اجتمع المسلمون وفيهم الامير مودود بن التونتكين صاحب الموصل وتميرك صاحب سنجار والامير اياز بن ايلغازى وطغتكين صاحب دمشق[7]، وكان سبب * اجتماع المسلمين[8] انّ ملك الفرنج بغدوين[9] تابع الغارات على بلد دمشق * ونهبه وخرّبه[10] اواخر سنة ستّ وخمسماية * وانقطعت الموادّ عن دمشق[11]

---

1) C. P. البلاد. 2) B. سرخال. 3) Om. C. P. 4) B. et Bodl. قراجا. 5) C. P. حبرخان; B. حمرخان; Bodl. حبرحان. Cf. a. 508 cap. tert. et a. 517 cap. ult. 6) Om. B. 7) Hic B. add. ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج مع بغدوين ملك القدس وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدمين. 8) C. P. اجتماعهم. 9) B. ملك القدس. 10) Om. B. 11) Om. B.

Digitized by Google

فغلت الاسعار * فيها وقلّت الاقوات [1] فارسل طغتكين صاحبها الى الامير مودود يشرح له الحال ويستنجده [2] ويحثّه على سرعة [3] الوصول اليه فجمع عسكرًا [4] وسار فعبر الفرات آخر ذى القعدة سنة ستّ وخمسماية فخافه الفرنج وسمع طغتكين خبره فسار اليه ولقيه بسلمية واتّفق رآيهم على قصد بغدوين ملك القدس فساروا الى الاردنّ فنزل المسلمون عند الاقحوانة ونزل الفرنج مع ملكهم بغدوين وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدّمين والفرسان المشهورين ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج فالتقوا عند طبريّة ثالث عشر المحرّم واشتدّ القتال وصبر الفريقان ثمّ انّ الفرنج انهزموا وكثر القتل فيهم والاسر وممّن أُسر ملكهم بغدوين فلم يُعْرَف فأُخذ سلاحه وأُطلق فنجا وغرق منهم فى بحيرة طبرية ونهر الاردنّ كثير وغنم المسلمون اموالهم وسلاحهم ووصل الفرنج الى مضيق دون طبرية فلقيهم عسكر طرابلس وانطاكية فقويت نفوسهم بهم وعادوا للحرب فاحاط بهم المسلمون من كلّ ناحية وصعد الفرنج الى جبل غرب طبريّة فاقاموا به ستّة وعشرين يومًا والمسلمون بازآيهم يرمونهم بالنشّاب فيصيبون من يقرب منهم ومنعوا [5] الميرة عنهم لعلّهم يخرجون الى قتالهم فلم يخرج منهم احد فسار المسلمون الى بيسان ونهبوا بلاد الفرنج بين عكّا الى القدس وخرّبوها وقتلوا من ظفروا به من النصارى وانقطعت المادّة عنهم لبعدهم عن بلادهم فعادوا ونزل بمرج الصفر، واذن الامير مودود للعساكر فى العود والاستراحة ثمّ الاجتماع فى الربيع لمعاودة الغزاة وبقى فى خواصّه ودخل دمشق فى الحادى والعشرين من ربيع الاوّل ليقيم عند طغتكين الى الربيع، فدخل الجامع يوم الجمعة فى ربيع الاوّل ليصلّى فيه وطغتكين فلمّا فرغوا من الصلوة وخرج الى صحن [6] الجامع ويده فى يد طغتكين فوثب عليه

---

1) B. بدمشق. 2) Om. C. P. 3) B. 4) Hic cod. B. explicit.
5) Cod. منعوه. 6) Cod. حصن.

Digitized by Google

باطنيٌّ فضربه فجرحه اربع جراحات وقُتل الباطنيُّ وأُخذ راسه فلم يعرفه احد فأُحرق، وكان صايمًا فحُمل الى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال لا لقيتُ الله الّا صايمًا فمات من يومه رحمه الله فقيل ان الباطنيّة بالشام خافوه وقتلوه وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله، وكان خيّرًا عادلًا كثير الخير، حدّثني والدي قال كتب ملك الفرنج الى طغتكين بعد قتل مودود كتابًا من فصوله انّ امّة قتلت عميدها، يوم عيدها، في بيت معبودها، لحقيق على الله ان يبيدها،، ولمّا قُتل تسلّم تميرك صاحب سنجار ما معه من الخزاين والسلاح وحملها الى السلطان ودُفن مودود بدمشق في تربة دقاق صاحبها وحُمل بعد ذلك الى بغداذ فدُفن في جوار ابي حنيفة ثم حُمل الى اصبهان ۞

ذكر الخلف بين السلطان سنجر ومحمّد خان والصلح بينهما

في هذه السنة كثر الحديث عند سنجر انّ محمّد خان بن سليمان بن داود قد مدّ يده الى اموال الرعايا وظلمهم ظلمًا كثيرًا وانّه خرّب البلاد بظلمه وشرّه وانّه قد صار استخفّ باوامر سنجر ولا يلتفت الى شيء منها فتجهّز سنجر وجمع عساكره وسار يريد قصده بما ورآء النهر فخاف محمّد خان فارسل الى الامير تماج وهو اكبر امير مع سنجر يسأله ان يصلح الحال بينه وبين سنجر وارسل ايضًا الى خوارزمشاه بمثل ذلك وسألهما في ارضآء السلطان عنه واعترف بانّه اخطأ فاجاب سنجر الى صلحه على شرط ان يحضر عنده ويطأ بساطه فارسل محمّد خان يذكر خوفه لسوء صنيعه ولكنّه يحضر للخدمة ويخدم السلطان وبينهما نهر جيحون ثم يعاود بعد ذلك الحضور عنده والدخول اليه فحسّنوا الاجابة الى ذلك والاشتغال بغيره فامتنع ثم اجاب وكان سنجر على شاطى جيحون من الجانب الغربيّ وجآء محمّد خان الى الجانب الشرقيّ فترجّل وقبّل

الارض وسنجر راكب وعاد كلّ واحد منهما الى خيامه ورجعوا الى بلادهم وسكنت الفتنة بينهما ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق الى مصر فاتى الخبر الى بغدوين ملك الفرنج فسار اليه وعارضه فى البرّ فاخذهم اجمعين ولم ينج منهم الّا القليل ومن سلم اخذ العرب[1] ، وفى هذه السنة توفّى الوزير ابو القاسم علىّ بن محمّد بن جهير وزير الخليفة المستظهر بالله ووزر بعده الرييب ابو منصور بن الوزير ابى شجاع محمّد بن الحسين وزير السلطان ، وفيها توفّى الملك رضوان بن تاج الدولة تُتُش بن الب ارسلان صاحب حلب وقام بعده بحلب ابنه الب ارسلان الاخرس وعمره ستّ عشرة سنة وكانت امور رضوان غير محمودة قتل اخويه ابا طالب وبهرام وكان يستعين بالباطنيّة فى كثير من اموره لقلّة دينه ولمّا ملك الاخرس استولى على الامور لُؤلُؤ الخادم ولم يكن للاخرس معه الّا اسم السلطنة ومعناه للؤلؤ ولم يكن الب ارسلان اخرس وانّما فى لسانه حُبْسَة وتَمْتَمَة وامّه بنت باغى[2] سيان الذى كان صاحب انطاكية وقتل الاخرس اخوين له احدهما اسمه ملكشاه وهو من ابيه وامّه واسم الآخر مباركشاه وهو من ابيه وكان ابوه فعل مثله فلمّا توفّى قتل ولداه مكافاة لما اعتمده مع اخويه وكان الباطنيّة قد كثروا بحلب فى ايّامه حتّى خافهم ابن بديع رئيسها واعيان اهلها فلمّا توفّى قال ابن بديع لالب ارسلان فى قتلهم والايقاع بهم فامره بذلك فقبض على مقدّمهم ابى طاهر الصايغ وعلى جميع اصحابه فقتل ابا طاهر وجماعة من اعيانهم واخذ اموال الباقين واطلقهم فمنهم من قصد الفرنج وتفرّقوا فى البلاد ، وفى هذه السنة توفّى ببغداذ ابو بكر احمد بن علىّ بن بدران الحلوانىّ

---

[1]) Vid. ann. 502. [2]) Cod. باغى.

Digitized by Google

الزاهد منتصف جمادى الاولى روى الحديث عن القاضى ابى الطيب الطبرىّ وابى محمّد الجوهرىّ وابى طالب العُشارىّ وغيرهم وروى عنه خلق كثير ومن اخرهم ابو الفضل عبد الله بن الطوسىّ خطيب الموصل، واسماعيل بن احمد بن الحسين بن علىّ ابو علىّ بن ابى بكر البيهقىّ الامام ابن الامام ومولده سنة ثمان وعشرين واربعماية وتوفّى بمدينة بيهق ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة، وشجاع بن ابى شجاع فارس بن الحسين بن فارس ابو غالب الذهلىّ الحافظ ومولده سنة ثلاثين واربعماية وروى عن ابيه وابى القاسم وابن المهتدى والجوهرىّ وغيرهم، والاديب ابو المظفّر محمّد بن احمد بن محمّد الابيوردىّ الشاعر المشهور وله ديوان حسن ومن شعره

تنكّر لى دَهْرِى ولم يَدْرِ انّنى ... اعزّ واحداثُ الزمان تهُونُ
وَظَلّ يُرِينِى الخَطْب كيف اعتدآوه ... وبتُّ أُريه الصَبْرَ كيف يكونُ

وله ايضًا

ركبتُ ظَهْرِى فادرَى دمعَه اسَفًا ... عند انصرافى منهم مُضْمِر الياسِ
وقال حتّامَ تُونِينى فان سَبَخَتْ ... حوايجٌ لك فاركَبْنى الى الناسِ

وكانت وفاته باصبهان وهو من ولد عَنبَسة بن ابى سفيان بن حرب الأُموىّ، وتوفّى ابو بكر محمّد بن احمد بن الحسين بن عمر الشاشىّ الامام الفقيه الشافعىّ فى شوّال مولده سنة سبع وعشرين واربعماية سمع ابا بكر الخطيب وابا يعلى بن الفرّاء وغيرهم وتفقّه على ابى عبد الله محمّد بن الكازرونىّ بديار بكر وعلى ابى اسحاق الشيرازىّ ببغداد وعلى ابى نصر بن الصبّاغ، وفيها توفّى ابو نصر المؤمن بن احمد ابن الحسن الساجىّ الحافظ المقدسىّ ومولده سنة خمس واربعين واربعماية وكان مكثرًا من الحديث وتفقّه على ابى اسحاق وكان ثقة ☆

سنة ٥٠٨ ثمّ دخلت سنة ثمان وخمسماية،

ذكر مسير آقسنقر البُرسقىّ الى الشام لحرب الفرنج

فى هذه السنة سيّر السلطان محمّد الامير آقسنقر البرسقىّ الى

Digitized by Google

الموصل واعمالها واليًا عليها لمّا بلغه قتل مودود وسيّر معه ولده الملك مسعودًا فى جيش كثيف وامره بقتال الفرنج وكتب الى ساير الامرآء بطاعته فوصل الى الموصل واتّصلت به عساكرها وفيهم عماد الدين زنكى بن آقسنقر الذى ملك هو واولاده الموصل بعد ذلك وكان له الشجاعة فى الغاية واتّصل به ايضًا تميرك صاحب سنجار وغيرها فسار البرسقىّ الى جزيرة ابن عمر فسلّمها اليه نايب مودود بها وسار معه الى ماردين فنازلها البرسقىّ حتّى اذعن له ايلغازى صاحبها وسيّر معه عسكرًا مع ولده اياز فسار عنه البرسقىّ الى الرها فى خمسة عشر الف فارس فنازلها فى ذى الحجّة وقاتلها وصبر له الفرنج واصابوا من بعض المسلمين غرّة فاخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتدّ القتال حينيذ وحمى المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسًا من اعيانهم واقام عليها شهرين وايّامًا وضاقت الميرة على المسلمين فرحلوا من الرها الى سميساط بعد ان خرّبوا بلد الرها وبلد سروج وبلد سميساط واطاعه صاحب مرعش على ما نذكره ثمّ عاد الى شحمان [1] فقبض على اياز بن ايلغازى حيث لم يحضر ابوه ونهب سواد ماردين ☆

ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البُرسقىّ

فى هذه السنة توفّى بعض كنود الفرنج ويعرف بكواسيل وهو صاحب مرعش وكيسوم ورعبان وغيرها فاستولت زوجته على المملكة وتحصّنت من الفرنج واحسنت الى الاجناد وراسلت آقسنقر البرسقىّ وهو على الرها واستدعت منه بعض اصحابه لتعطيه فسيّر اليها الامير سُنقر دزدار صاحب الخابور فلمّا وصل اليها اكرمته وحملت اليه مالًا كثيرًا وبينما هو عندها اذ جآء جمع من الفرنج فواقعوا اصحابه وهم نحو ماية فارس واقتتلوا قتالًا شديدًا ظفر فيه المسلمون بالفرنج

---

[1]) Ita Cod. addito signo dubii ؟.

Digitized by Google

وقتلوا منهم اكثرهم وعاد سنقر دزدار وقد اصحبته الهدايا للملك مسعود والبرسقيّ واذعنت بالطاعة ولمّا عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممّن عندها الى انطاكية ❁

ذكر الحرب بين البرسقيّ وايلغازى واسْر ايلغازى

لمّا قبض البرسقيّ على اياز بن ايلغازى سار الى حصن كيفا وصاحبها الامير ركن الدولة داود بن اخيه سُقمان فاستنجده فسار معه فى عسكره واحضر خلقًا كثيرًا من التركمان وسارا الى البرسقيّ فلقيه اواخر السنة واقتتلوا قتالًا شديدًا صبروا فيه فانهزم البرسقيّ وعسكره وخلص اياز بن ايلغازى من الاسر فارسل السلطان اليه يتهدّده فخافه وسار الى الشام الى حمية طغتكين صاحب دمشق فاقام عنده ايّامًا، وكان طغتكين ايضًا قد استوحش من السلطان لانّه نسب اليه قتل مودود فاتّفقا على الامتناع والالتجآء الى الفرنج والاحتماء بهم فراسلا صاحب انطاكية وحالفاه فحضر عندهما على بحيرة قدس عند حمص وجدّدوا العهود وعاد الى انطاكية وعاد طغتكين الى دمشق وسار ايلغازى الى الرَّسْتَن على عزم قصد ديار بكر وجمْع التركمان والعود فنزل بالرستن ليستريح فقصده الامير قُرجان بن قراجة صاحب حمص وقد تفرّق عن ايلغازى اصحابه فظفر به قرجان واسره ومعه جماعة من خواصّه وارسل الى السلطان يعرّفه ذلك ويسأله تعجيل انفاذ العساكر ليُلّا يغلبه طغتكين على ايلغازى، ولمّا بلغ طغتكين الخبر عاد الى حمص وارسل فى اطلاقه فامتنع قرجان وحلف ان لم يعُدْ طغتكين لنقتلنّ ايلغازى فارسل ايلغازى الى طغتكين انّ الملاجئة تؤذينى ويسفك دمى والمصلحة عودك الى دمشق، فعاد، وانتظر قرجان وصول العساكر السلطانيّة فتاخّرت عنه فخاف ان ينخدع اصحابه لطغتكين ويسلّموا اليه حمص فعدل الى الصُلح مع ايلغازى على ان يطلقه ويأخذ ابنه اياز رهينة ويصاهره ويمنعه من طغتكين وغيره فاجابه الى ذلك فاطلقه وتحالفا وسلّم اليه

ابنه اياز وسار عن حمص الى حلب وجمع التركمان وعاد الى حمص وطالب بولده اياز وحصر قيرخان الى ان وصلت العساكر السلطانيّة فعاد ايلغازى على ما نذكره ❁

ذكر وفاة علآء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر

فى هذه السنة فى شوّال توفّى الملك علآء الدولة ابو سعد مسعود ابن ابى المظفّر ابراهيم بن ابى سعد مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بها وملك بعده ابنه ارسلان شاه وامّه سلجوقيّة وهى اخت السلطان الب ارسلان بن داود فقبض على اخوته وسجنهم وهرب اخ له اسمه بهرام الى خراسان فوصل الى السلطان سنجر ابن ملكشاه فارسل الى ارسلانشاه فى معناه فلم يسمع منه ولا اصغى الى قوله فتجهّز سنجر للمسير الى غزنة واقامة بهرامشاه فى الملك، فارسل ارسلانشاه الى السلطان محمّد يشكوا من اخيه سنجر فارسل السلطان الى اخيه سنجر يامره بمصالحة ارسلانشاه وتَرْك التعرّض له وقال للرسول ان رايتَ اخى وقد قصدهم وسار نحوهم او قارب ان يسير فلا تمنعه ولا تبلّغْه الرسالةَ فانّ ذلك يفتّ فى عضده ويوهنه[1] ولا يعود ولان يملك اخى الدنيا احبّ الىّ، فوصل الرسول الى سنجر وقد جهّز العساكر الى غزنة وجعل على مقدّمته الامير أُنَر متقدّم عسكره ومعه الملك بهرامشاه فساروا حتّى بلغوا بُسْت واتّصل بهم فيها ابو الفضل نصر بن خلف صاحب سجستان، وسمع ارسلانشاه الخبر فسيّر جيشًا كثيفًا فهزماه ونهباه وعاد من سلم الى غزنة على اسْوا حال فخضع حينيذ ارسلانشاه وارسل الى الامير أُنَر يضمن له الاموال الكثيرة ليعود عنه ويحسّن للملك سنجر العود عنه فلم يفعل، وتجهّز السلطان سنجر بعد أُنَر للمسير بنفسه فارسل اليه

---

[1]) Bodl.; C. P. et A. ويورهنه.

ارسلانشاه امرأة عمّه نصر تسأله الصفح والعود عن قصده وهي اخت الملك سنجر من السلطان بركيارق وكان علآء الدولة ابو سعد قد قتل زوجها ومنعها من الخروج عن غزنة وتزوّجها فسيّرها الآن ارسلانشاه فلمّا وصلتْ * الى اخيه اوصلتْ [1] ما معها من الاموال والهدايا وكان معها مايتا الف دينار وغير ذلك وطلب من سنجر ان يسلّم اخاه بهرام اليه وكانت موغرة الصدر من ارسلانشاه فهوّنت امره على سنجر واطمعته فى البلاد وسهّلت الامر عليه وذكرت له ما فعل باخوته وكان قتل بعضًا وكحل بعضًا من غير خروج منهم عن الطاعة، فسار الملك سنجر فلمّا وصل الى بُست ارسل خادمًا من خواصّه الى ارسلانشاه فى رسالة فقبض عليه فى بعض القلاع فسار حينيذ سنجر مجدًّا فلمّا سمع بقربه منه اطلق الرسول ووصل سنجر الى غزنة ووقع بينهما المصاف على فرسخ من غزنة بصحرآء شهراباذ وكان ارسلانشاه فى ثلاثين الف فارس وخلق كثير من الرجالة ومعه ماية وعشرون فيلًا على كلّ فيل اربعة نفر فحملت الفيلة على القلب وفيه سنجر فكان من فيه ينهزمون فقال سنجر لغلمانه الاتراك ليرموها بالنشّاب فتقدّم ثلاثة الاف غلام فرموا الفيلة رشقًا واحدًا جميعًا فقتلوا منها عدّة فعدلت الفيلة عن القلب الى الميسرة وبها ابو الفضل صاحب سجستان وجالت عليهم فضعف من فى الميسرة فشجّعهم ابو الفضل وخوّفهم من الهزيمة مع بُعد ديارهم وترجّل عن فرسه بنفسه وقصد كبيرَ الفيلة ومتقدّمها ودخل تحتها فشقّ بطنها وقتل فيلَيْن آخرين ورآى الامير أُنَر وهو فى الميمنة ما فى الميسرة من الحرب فخاف عليها فحمل من ورآء عسكر غزنة وقصد الميسرة واختلط بهم واعانهم فكانت الهزيمة على الغزنويّة وكان ركّاب الفيلة قد شدّوا انفسهم عليها بالسلاسل فلمّا عضّهم الحرب وعمل فيهم السيف القوا

---

[1]) Bodl.; pro his verbis C. P. et A. habent اليه.

Digitized by Google

انفسهم فبقوا معلّقين عليها، ودخل السلطان سنجر غزنة فى العشرين من شوّال سنة عشر وخمسمايـة ومعه بهرامشاه، فامّا القلعة الكبيرة المشتملة على الاموال وبينها وبين البلد تسعة فراسخ وهى عظيمة لا مطمع فيها ولا طريق عليها وكان ارسلانشاه قد سجن فيها اخاه طاهر الخازن وهو صاحب بهرامشاه واعتقل بها ايضًا زوجة بهرامشاه فلمّا انهزم ارسلانشاه استمال اخوه طاهر المستحفظ بها فبذل له وللاجناد الزيادات فسلّموا القلعة الى الملك سنجر، وامّا قلعة البلد فانّ ارسلانشاه كان اعتقل بها رسول سنجر فلمّا اطلقه بقى غلمانه بها فسلّموا القلعة ايضًا بغير قتال، وكان قـد تقـرّر بين بهرامشاه وبين سنجر ان يجلس بهرام على سرير جدّه محمود بن سبكتكين وحده وان يكون الخطبة بغزنة للخليفة وللسلطان محمّد وللملك سنجر وبعدهم لبهرامشاه فلمّا دخلوا غزنـة كان سنجر راكبًا وبهرامشاه بين يدَيْه راجلًا حتّى جآء السرير فصعد بهرامشاه فجلس عليه ورجع سنجر وكان يخطب له بالملك ولبهرامشـاه بالسلطان على عادة ابآيه فكان هذا من اعجب ما يسمع به وحصل لاصحاب سنجر من الاموال ما لا يحدّ ولا يحصى من السلطان والـرعايا وكان فى دور لملوكها عدّة دور على حيطانها الواح الفضّة وسواقى للمياه الى البساتين من الفضّة ايضًا فقُلع من ذلك اكثره ونُهب فلمّا سمع سنجر ما يفعـل منع عنه بجهده وصلب جماعة حتّى كفّ الناس، وفى جملة ما حصل للملك سنجر خمسة تيجان قيمة احدها يزيد على القَىْ الف دينار والف وثلاثماية قطعة مصاغة مرصّعة وسبعة عشر سريرًا من الذهب والفضّة، واقام بغزنـة اربعين يومًا حتّى استقرّ بهرامشاه وعاد نحـو خراسـان ولم يخطب بغزنـة لسلجوقىّ قبـل هذا الوقت حتّى انّ السلطان ملكشاه مع تمكّنه وكثرة ملكه لم يطمع فيه وكان كلّما رام ذلك مـنع منـه نظام الملك، واما ارسـلانشاه فانّـه لمّا انهزم قصد هندوستان واجتمع عليه اصحابه فقويت شوكته فلمّا عاد سنجر الى

Digitized by Google

خراسان توجّه الى غزنة فلمّا عرف بهرامشاه قصْده اياه توجّه الى باميان وارسل الى الملك سنجر يعلمه الحال فارسل اليه عسكرًا واقام ارسلانشاه بغزنة شهرًا واحدًا وسار يطلب اخاه بهرامشاه فبلغه وصول عسكر سنجر فانهزم بغير قتال للخوف الذى قد باشر قلوب اصحابه وتحف بجبال اوغنان فسار اخوه بهرامشاه وعسكر سنجر فى اثره واخربوا البلاد لانّه هو فيها وارسلوا الى اهلها يتهدّدونهم فسلّموه بعد المضايقة فاخذه متقدّم جيش الملك سنجر واراد حمله الى صاحبه فخاف بهرامشاه من ذلك فبذل له مالًا فسلّمه اليه فخنقه ودفنه بتربة ابيه بغزنة وكان عمره سبع وعشرين سنة وكان احسن اخوته صورةً وكان قتْله فى جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وخمسماية وانّما ذكرناه هاهنا لتتّصل الحادثة ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرها فخربت كثيرًا من الرها وحرّان وسميساط وبالس وغيرها وهلك خلق كثير تحت الهدم، وفيها قُتل تاج الدولة الب ارسلان بن رضوان صاحب خلب قتله غلمانه بقلعة حلب واقاموا بعده اخاه سلطان شاه بن رضوان وكان المستولى عليه لؤلؤ الخادم، وفيها توفّى الشريف النسيب ابو القاسم علىّ بن ابراهيم ابن العبّاس الحسينىّ فى ربيع الآخر بدمشق ✿

سنة ٥٠٩ ثم دخلت سنة تسع وخمسماية،

ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج

قد ذكرنا ما كان من عصيان ايلغازى وطغتكين على السلطان وقوّة الفرنج فلمّا اتّصل ذلك بالسلطان محمّد جهّز عسكرًا كثيرًا وجعل مقدّمهم الامير برُسق بن برسق صاحب همذان ومعه الامير جيوش بك والامير كنتغدى [1] وعساكر الموصل والجزيرة وامرهم بالبداية

[1]) Bodl. كيدغدى ; C. P. كمغدى.

Digitized by Google

بقتال ايلغازى وطغتكين فاذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج وقاتلوهم وحصروا بلادهم، فساروا فى رمضان من سنة ثمان وخمسماية وكان عسكرًا كثير العدّة وعبروا الفرات آخر السنة عند الرقّة فلمّا قاربوا حلب راسلوا المتولّى لامرها لؤلؤ الخادم ومقدّم عسكرها المعروف بشمس الخواصّ يامرونهما بتسليم حلب وعرضوا عليهما كُتُب السلطان بذلك فغالطا فى الجواب وارسلا الى ايلغازى وطغتكين يستنجدانهما فسارا اليهم فى الفَىْ فارس ودخلا حلب فامتنع من بها حينيذ عن عسكر السلطان واظهروا العصيان، فسار الامير برسق بن برسق الى مدينة حماة وهى فى طاعة طغتكين وبها ثقله فحصرها وفتحها عنوةً ونهبها ثلاثة ايّام وسلّمها الى الامير قرجان صاحب حمص وكان السلطان قد امر ان يسلّم اليه كلّ بلد تفتحونه فلمّا رأى الامرآء ذلك فشلوا وضعفت نيّاتهم فى القتال بحيث توخذ البلاد وتسلّم الى قرجان فلمّا سلّموا حماة الى قرجان سلّم اليهم اياز بن ايلغازى وكان قد سار ايلغازى وطغتكين وشمس الخواصّ الى انطاكية واستجاروا بصاحبها رُوجيل[1] وسألوه ان يُساعدهم على حفظ مدينة حماة فلا بلغهم فتحها ووصل اليهم بانطاكية بغدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج واتّفق رآيهم على ترك اللقآء لكثرة المسلمين وقالوا انّهم عند هجوم الشتآء يتفرّقون واجتمعوا بقلعة افامية واقاموا نحو شهرَيْن فلمّا انتصف ايلول وراوا عزم المسلمين على المقام تفرّقوا فعاد ايلغازى الى ماردين وطغتكين الى دمشق والفرنج الى بلادها، وكانت افامية وكفرطاب للفرنج فقصد المسلمون كفرطاب وحصروها فلمّا اشتدّ الحصر على الفرنج ورأوا الهلاك قتلوا اولادهم ونسآءهم واحرقوا اموالهم ودخل المسلمون البلد عنوةً وقهرًا واسروا صاحبه وقتلوا من بقى فيه من الفرنج وساروا الى قلعة افامية فراوها

---

[1]) C. P. بوجيل.

Digitized by Google

حصينة فعادوا عنها الى المعرّة وهى للفرنج ايضًا وفارقهم الامير جيوش بك الى وادى بزاعة فلكه، وسارت العساكر عن المعرّة الى حلب وتقدّمهم ثقلهم ودوابّهم على جارى العادة والعساكر فى اثره متلاحقة وهم امنون لا يظنّون احدًا يقدم على القرب منهم وكان روجيل[1] صاحب انطاكية لمّا بلغه حصر كفرطاب سار فى خمسماية فارس والفىْ راجل للمنع فوصل الى المكان الذى ضُربت فيه خيام المسلمين على غير علم بها فراها خالية من الرجال المقاتلة لانّهم لم يصلوا اليها فنهب جميع ما هناك وقتل كثيرًا من السوقيّة وغلمان العسكر ووصلت العساكر متفرّقة فكان الفرنج يقتلون كلّ من وصل اليهم ووصل الامير برسق فى نحو ماية فارس فرأى الحال فصعد تلًّا هناك ومعه اخوه زنكى واحاط بهم من السوقيّة والغلمان واحتموا بهم ومنعوا الامير برسق من النزول فاشار عليه اخوه ومَن معه بالنزول والنجاة بنفسه فقال لا افعل بل اقتل فى سبيل الله واكون فدآء المسلمين فغلبوه على رأيه فنجا هو ومن معه فتبعهم الفرنج نحو فرسخ ثمّ عادوا وتمّموا الغنيمة والقتل واحرقوا كثيرًا من الناس، وتفرّق العسكر واخذ كلّ واحد جهةً ولمّا سمع الموكّلون بالاسرآء الماخوذين من كفرطاب ذلك قتلوهم وكذلك فعل الموكّل بإياز بن ايلغازى قتله ايضًا وخاف اهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين لله بالشام فانّهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر فاتاهم ما لم يكن فى الحساب وعادت العساكر منهم الى بلادها، واما برسق واخوه زنكى فانّهما توفّيا فى سنة عشر وخمسماية وكان برسق خيّرًا دينًا وقد ندم على الهزيمة وهو يتجهّز للعود الى الغزاة فاتاه اجله ☆

ذكر ملك الفرنج رفنية واخذها منهم

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة ملك الفرنج رفنيّة من ارض

---

[1]) Codd. روحيل.

الشام وهي لطغتكين صاحب دمشق وقوّوها بالرجال والذخاير وبالغوا في تحصينها فاهتمّ طغتكين لذلك وقوى عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها والتخريب فاتاه الخبر عن رفنية لخلوّها عن عسكرٍ يمنع عنها وليس هناك الّا الفرنج الذين رُتّبوا لحفظها فسار اليها جريدة فلم يشعر من بها الّا وقد هجم عليهم البلد فدخله عنوةً وقهرًا واخذ كلّ من فيه من الفرنج اسيرًا فقتل البعض وترك البعض وغنم المسلمون من سوادهم وكُراعهم وذخايرهم ما امتلأت منه ايديهم وعادوا الى بلادهم سالمين ❁

ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه علىّ

في هذه السنة توفّى يحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس صاحب افريقية يوم عيد الاضحى فجاةً وكان منجّم قد قال له في تسيير مولده انّ عليه قطعًا في هذا اليوم فلا تركبْ فلم يركب وخرج اولاده واهل دولته الى المصلّى فلمّا انقضت الصلوة حضروا عنده للسلام عليه وتهنيته وقرأ القرآء وانشد الشعرآء وانصرفوا الى الطعام فقام يحيى من بابٍ آخر ليحضر معهم على الطعام فلم يمش غير ثلاث خُطًا حتّى وقع ميّتًا وكان ولده علىّ بمدينة سفاقس فأُحضر وعُقدت له الولاية ودُفن يحيى بالقصر ثم نُقل الى التربة بالمنستير وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يومًا وكانت ولايته ثمان سنين وخمسة اشهر وخمسة وعشرين يومًا وخلّف ثلاثين ولدًا فقال عبد الجبّار بن محمّد بن حمديس الصقلىّ يرثيه وينهنّى ابنه عليًّا بالملك

ما أُغمد العضْبُ الّا جُرّد الذَكَرُ ... ولا اختفى قمرٌ حتّى بدا قمرُ
بموت يحيى أُميت الناسُ كلّهُمُ ... حتّى اذا ما علىٌّ جاءهم نُشروا
ان يبعثوا بسرورٍ من تملّكه ... فمِنْ منيّة يحيى بالاسى قبروا[1]

---

[1]) *Amari*, Bibl. Arabo-Sicula pag. ٢٨٠. Versus deest in Cod. C.P.

Digitized by Google

أُوفى على فسنّ الملك ضاحكةً وعينُها من ابيه دمعها هَمِرُ
شُقَّتْ جيوبَ المعالى بالاسى فبكتْ فى كلّ أُفقٍ عليه الانجم الزهرُ
وقلْ لابن تميم حزن[1] ما بهما[2] فكلّ حزنٍ عظيم فيه مُحْتَقَرُ
قام الدليل ويحيى لا حياة له انّ المنيّة لا تُبْقى ولا تَذَرُ

وكان يحيى عادلًا فى رعيّته ضابطًا لامور دولته مدبّرًا لجميع احواله رحيمًا بالضعفآء والفقرآء يكثر الصدقة عليهم ويقرّب اهل العلم والفضل وكان عالمًا بالاخبار وايّام الناس والطبّ وكان حسن الوجه اشهل العين الى الطول ما هو، ولمّا استقرّ على فى الملك جهّز اسطولًا الى جزيرة جربة وسببه انّ اهلها كان يقطعون الطريق ويأخذون التجار فحصرها وضيّق على من فيها فدخلوا تحت [طاعته] والتزموا ترك الفساد وضمنوا اصلاح الطريق وكفّ عنهم عند ذلك وصلح امر البحر وامن المسافرون ❀

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى رجب قدم السلطان محمّد بغداذ ووصل اليه اتابك طغتكين صاحب دمشق فى ذى القعدة وسأل الرضا عنه فرضى عنه السلطان وخلع عليه وردّه الى دمشق، وفيها امر الامام المستظهر بالله فى بيع البدريّة وهى منسوبة الى بدر غلام المعتضد بالله وكانت من احسن دور الخلفآء وكان ينزلها الراضى بالله ثمّ تهدّمت وصارت تلًّا فامر القادر بالله ان يسور عليها سور لانّها مع الدار لاماميّة ففعل ذلك فلمّا كان الآن امر ببيعها فبيعت وعمرها الناس، وفيها فى شعبان وقعت الفتنة بين العامّة وسببها انّ الناس لمّا عادوا من زيارة مصعب اختصموا على من يدخل اوّلًا فاقتتلوا وقُتل بينهم جماعة وعادت الفتن بين اهل المحالّ كما كانت ثمّ سكنت، وفيها اقطع السلطان محمّد الموصل وما كان بيد آقسنقر البرسقىّ * للامير

---

[1]) *Amari* l. c. حُزِنَ. [2]) *Amari* بها.

Digitized by Google

جيوش بك وسيّر ولده الملك مسعود واقام البرسقيّ[1] بالرحبة وهي اقطاعه الى ان توفّي السلطان محمّد وكان ما نذكره ان شآء الله تعالى، وفيها توفّي اسماعيل بن محمّد بن احمد بن ملّه الاصبهانيّ ابو عثمان بن ابى سعيد الواعظ سمع الكثير وحدّث ببغداذ وغيرها، وعبد الله بن المبارك بن موسى السقطيّ ابو البركات له رحلة وله تصانيف وكان اديبًا ✿

ثم دخلت سنة عشر وخمسماية، سنة ٥١٠

ذكر قتل احمديل بن وهسوذان

فى هذه السنة اوّل المحرّم حضر اتابك طغتكين صاحب دمشق دار السلطان محمّد ببغداذ وحضر جماعة الامرآء ومعهم احمديل بن ابراهيم بن وهسوذان الروادىّ الكردىّ صاحب مراغة وغيرها من اذربيجان وهو جالس الى جانب طغتكين فاتاه رجل متظلّم وبيده رقعة وهو يبكى ويسأله ان يوصلها الى السلطان فاخذها من يده فضربه الرجل بسكّين فجذبه احمديل وتركه تحته فوثب رفيق للباطنىّ وضرب احمديل سكّينًا اخرى فاخذتهما السيوف واقبل رفيق لهما وضرب احمديل ضربة اخرى فعجب النّاس من اقدامه بعد قتل صاحبَيْه وظنّ طغتكين والحاضرين انّ طغتكين كان المقصود بالقتل وانّه بامر السلطان فلمّا علموا انّهم باطنيّة زال هذا الوهم ✿

ذكر وفاة جاولى سقاووا وحال بلاد فارس معه

فى هذه السنة توفّي جاولى سقاووا وكان السلطان ببغداذ عازمًا على المقام بها فاضطرّ الى المسير الى اصبهان ليكون قريبًا من فارس لئلّا تختلف عليه وقد ذكرنا حال جاولى بالموصل الى ان ملكتْ منه واخذها السلطان فلمّا قصد السلطانَ ورضى عنه اقطعه بلاد فارس فسار جاولى اليها ومعه ولد السلطان جغرى وهو طفل له من العمر

---

[1]) Om. Bodl.

Digitized by Google

سنتان وامره باصلاحها وقمع المفسدين بها فسار اليها فاوّل ما اعتمده فيها انّه لمّا يتوسّط بلاد الامير بلدجى وهو من كبار ممالیك السلطان ملكشاه ومن جملة بلاده كليل وسرماه[1] وكان متمكّنًا بتلك البلاد وراسله جاولى ليحضر خدمة جغرى ولد السلطان وعلّم جغرى لن يقول بالفرسيّة خذوه فلمّا دخل بلدجى قال جغرى على غلطته خذوه فأُخذ وقُتل ونُهبت امواله وكان لبلدجى من جملة حصونه قلعة اصطخر وهى من امنع القلاع واحصنها وكان بها اهله وذخايره وقد استناب فى حفظها وزيرًا له يعرف بالجهرمىّ فعصا عليه واخرج اليه اهله وبعض المال ولم تزل فى يد الجهرمىّ حتّى وصل جاولى الى فارس فاخذها منه وجعل فيها امواله وكان بفارس جماعة من امرآء الشوانكارة وهم خلق كثير لا يحصون ومقدّمهم الحسن بن المبارز المعروف بخسرو وله فسا وغيرها فراسله جاولى ليحضر خدمة جغرى فاجاب انّنى عبد السلطان وفى طاعته فامّا الحضور فلا سبيل اليه لانّنى قد عرفتُ علاقتك مع بلدجى وغيره ولكنّنى احمل الى السلطان ما يوثره فلمّا سمع جاولى جوابه علم انّه لا مقام له بفارس معه فاظهر العود الى السلطان وحمل اثقاله على الدوابّ وسار كانّه يطلب السلطان ورجع الرسول الى خسرو فاخبره فاغترّ وقعد للشرب وامن وامّا جاولى فانّه عاد من الطريق الى خسرو جريدةً فى نفر يسير فوصل اليه وهو مخمور نايم فكبسه فانبهه اخوه فصلُوه فلم يستيقظ فصبّ عليه الماء البارد فافاق وركب من وقته وانهزم وتفرّق اصحابه ونهب جاولى ثقله واملاكه واكثر القتل فى اصحابه ونجا خسرو الى حصنه وهو بين جبلَيْن يقال لاحدهما انج وسار جاولى الى مدينة فسا فتسلّمها ونهب كثيرًا من بلاد فارس منهم جهرم وسار الى خسرو وحصره مدّة وضيّق عليه فرأى من امتناع حصنه وقوّته وكثرة ذخايره ما علم انّ المدّة

---

[1]) Bodl. وشرماوه.

Digitized by Google

تطول عليه فصالحه ليشتغل بباقى بلاد فارس ورحل عنه الى شيراز فاقام بها ثم توجّه الى كازرون فلكها وحصر ابا سعد محمّد بن ممّا فى قلعته واقام عليها سنتَيْن صيفًا وشتآء فراسله جاولى فى الصلح فقتل الرسول فارسل اليه قومًا من الصوفيّة فاطعمهم الهريسة والقطايف ثم امر بهم فخيطت ادبارهم والقوا فى الشمس فهلكوا ثم نفد ما عند ابى سعد فطلب الامان فآمنه وتسلّم الحصن، ثم انّ جاولى اساء معاملته فهرب فقبض على اولاده وبثّ الرجال فى اثره فرأى بعضهم زنجيًّا يحمل شيئًا فقال ما معك فقال زادى ففتشه فراى دجاجًا وحلوآء السكر فقال ما هذا من طعامك فضربه فاقرّ على ابى سعد وانّه يحمل ذلك اليه فقصدوه وهو فى شعب جبل فاخذه الجندىّ وحمله الى جاولى فقتله، وسار الى دارابجرد وصاحبها اسمه ابراهيم فهرب صاحبها منه الى كرمان خوفًا منه وكان بينه وبين صاحب كرمان صهر وهو ارسلانشاه بن كرمانشاه بن ارسلان بك بن قاورت فقال له لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولى وطلب منه النجدة وسار جاولى بعد هربه منه الى حصار رتيل رننه[1] يعنى مضيق رننه[2] وهو موضع لم يوخذ قهرًا قطّ لانّه واد نحو فرسخين وفى صدره قلعة منيعة على جبل عالٍ واهل دارابجرد يتحصّنون به اذا خافوا فاقاموا به وحفظوا اعلاه فلمّا راى جاولى حصانته سار يطلب البريّة نحو كرمان كاتمًا امره ثم رجع من طريق كرمان الى دارابجرد مظهرًا انّه من عسكر الملك ارسلانشاه صاحب كرمان فلم يشكّ اهل الحصن انّهم مدد لهم مع صاحبهم فاظهروا السرور واذنوا له فى الدخول المضيق فلمّا دخله وضع السيف فيمن هناك فلم ينج غير القليل ونهب اموال اهل دارابجرد وعاد الى مكانه وراسل خسرو[3] يعلمه انّه عازم على التوجّه الى كرمان ويدعوه اليه فلم يجد بدًّا

---

1) Bodl.; C. P. رسد ٢ رسل. 2) Bodl. رسد; C. P. رسد. 3) Cod. خسره.

Digitized by Google

من موافقته فنزل اليه طايعًا وسار معه الى كرمان وارسل الى صاحبها القاضى ابا طاهر عبد الله بن طاهر قاضى شيراز يامره باعادة الشوانكارة لانّهم رعيّة السلطان يقول انّه متى اعادهم عاد عن قصد بلاده والّا قصده فاعاد صاحب كرمان جواب الرسالة يتضمّن الشفاعة فيهم حيث استجاروا به ولمّا وصل الرسول الى جاولى احسن اليه واجزل له العطآء وافسده على صاحبه وجعله عينًا له عليه وقرّر معه اعادة عسكر كرمان ليدخل البلاد وهم غارّون فلمّا عاد الرسول وبلغ السيرجان وبها عساكر صاحب كرمان ووزيره مقدّم الجيش اعلم الوزير ما عليه جاولى من المقاربة وانّه يفارق ما كرهوه واكثر من هذا النوع وقال لكنّه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وانّ اعدآء جاولى طمعوا فيه بهذا العسكر والرآى ان تعاد العساكر الى بلادها، فعاد الوزير والعساكر وخلت السيرجان وسار جاولى فى اثر الرسول فنزل بفرج[1] وهى الحدّ بين فارس وكرمان فحاصرها فلمّا بلغ ذلك ملك كرمان احضر الرسول وانكر عليه اعادة العسكر فاعتذر اليه وكان مع الرسول فرّاش لجاولى ليعود اليه بالاخبار فارتاب به الوزير فعاقبه فاقرّ على الرسول فصُلب ونُهبت امواله وصُلب الفرّاش وندب العساكر الى المسير الى جاولى فساروا فى ستّة الاف فارس، وكانت الولاية لله هى الحدّ بين فارس وكرمان بيد انسان يسمّى موسى وكان ذا رآى ومكر فاجتمع بالعسكر واشار عليهم بترك الجادّة المسلوكة وقال انّ جاولى محتاطًا منها وسلك بهم طريقًا غير مسلوكة بين جبال ومضايق وكان جاولى يحاصر فرج وقد ضيّق على من بها وهو يدمن الشرب فسيّر اميرًا فى طايفة من عسكره ليلقى العسكر المنفذ من كرمان فسار الامير فلم ير احدًا فظنّ انّهم قد عادوا فرجع الى جاولى وقال انّ العسكر كان قليلًا فعاد خوفًا منّا فاطمأنّ

---

[1]) Cod. بفرح ubique.

Digitized by Google

حينيذ جاولى وادمن شرب الخمر ووصل عسكر كرمان اليه ليلًا وهو سكران نايم فايقظه بعض اصحابه واخبره فقطع لسانه فاتاه غيره وايقظه وعرّفه الحال فاستيقظ وركب وانهزم وقد تفرّق عسكره منهزمين فقُتل منهم وأُسر كثير وادركه خسرو وابن ابى سعد الذى قتل جاولى اباه فسارا معه فى اصحابهما فالتفت فلم ير معه احدًا من اصحابه الاتراك فخاف على نفسه منهم فقالا له انا لا نغدر بك ولن ترى منّا الّا الخير والسلامة وسارا معه حتّى وصل الى مدينة فسا واتّصل به المنهزمون من اصحابه واطلق صاحب كرمان الاسرى وجهّزهم وكانت هذه الوقعة فى شوّال سنة ثمان وخمسماية، وبينما جاولى يدبّر الامر ليعاود كرمان وياخذ بثاره توفّى الملك جغرى بن السلطان محمّد وعمره خمس سنين وكانت وفاته فى ذى الحجّة سنة تسع وخمسماية ففتّ ذلك فى عضده فارسل ملك كرمان رسولًا الى السلطان وهو ببغداذ يطلب منه مَنْع جاولى عنه فاجابه السلطان انّه لا بدّ من ارضاه جاولى وتسليم فرج اليه فعاد الرسول فى ربيع الاوّل سنة عشر وخمسماية فتوفّى جاولى فامنوا ما كانوا يخافونه[1] فلمّا سمع السلطان سار عن بغداذ الى اصبهان خوفًا على فارس من صاحب كرمان ❁

ذكر فتح جبل وسلات وتونس

فى هذه السنة حصر عسكر علىّ بن يحيى صاحب افريقية مدينة تونس وبها احمد بن خراسان وضيّق على مَن بها فصالحه صاحبها على ما اراد، وفيها فتح ايضًا جبل وسلات بافريقية واستولى عليه وهو جبل منيع ولم يزل اهله طول الدهر يفتكون بالناس ويقطعون الطريق فلمّا استمرّ ذلك منهم سيّر اليهم جيشًا فكان اهل الجبل ينزلون الى الجيش ويقاتلون اشدّ قتال فعمل قايد الجيش الحيلة فى

---

[1]) Bodl.

Digitized by Google

الصعود الى الجبل من شعب لم يكن احد يظنّ انّه يصعد منه فلمّا صار فى اعلاه فى طايفة من اصحابه ثار اليه اهل الجبل فصبر لهم وقاتلهم فيمن معه اشدّ قتال وتتابع الجيش فى الصعود اليه فانهزم اهل الجبل وكثر القتل فيهم ومنهم مَنْ رما نفسه فتكسّر ومنهم من افلت واحتمى جماعة كثيرة بقصر فى الجبل فلمّا احاط بهم الجيش طلبوا ان يُرسِل اليهم من يصلح حالهم فارسل اليهم جماعة من العرب والجند فثار بهم اولیك بالسلاح فقتلوا بعضهم وطلع الباقون الى اعلى القصر ونادوا اصحابهم من الجيش فاتوهم وقاتلوهم بعضهم من اعلى القصر وبعضهم من اسفله فالقى مَن فيه من اهل الجبل ايديهم فقتلوا كلّهم ❁

ذكر الفتنة بطوس

فى هذه السنة فى عاشورآء كانت فتنة عظيمة بطوس فى مشهد علىّ بن موسى الرضا عم وسببها انّ علويًّا خاصم فى المشهد يوم عاشورآء بعض فقهآء طوس فادّى ذلك الى مضاربة وانقطعت الفتنة ثم استعان منهما بحربه فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع اهل طوس واحاطوا بالمشهد وخرّبوه وقتلوا مَنْ وجدوا فقُتل بينهم جماعة ونُهبت اموال جمّة وافترقوا وترك اهل المشهد لخطبة ايّام الجمعات فيه فبنا عليه عضد الدين فرامرز بن علىّ سورًا منيعًا يحتمى به مَن بالمشهد على من يريده بسوء وكان بنآؤه سنة خمس عشرة وخمسماية ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة وقعت النار فى الحظاير المجاورة للمدرسة النظاميّة ببغداذ فاحترقت الاخشاب التى بها واتّصل الحريق الى درب السلسلة وتطاير الشرر الى باب المراتب فاحترقت منه عدّة دور واحترقت

---

[1]) Bodl.

Digitized by Google

خزانة كتب النظاميّة وسلمت الكتبُ لانّ الفقهآء لمّا احسّوا بالنار نقلوها، وفيها توفّى عبد الله بن يحيى بن محمّد بن بهلول ابو محمّد الاندلسىّ السرقسطىّ وكان فقيهًا فاضلًا ورد العراق نحو سنة خمسماية وسار الى خراسان فسكن مرو الروذ فمات بها وله شعر حسن فنه

وَمُهَفْهَفٍ يختال فى أبرادهِ ... مَرِحِ القضيب اللّدن تحت البارحِ
ابصرتُ فى مرآة فكرى خدّه ... فحكيتُ فَعْلَ جفونه بجوارحى
ما كنتُ احسب انّ فَعْل توهّمى ... يقوى تعدّيه فيجرح جارحى
لا غروَ ان جَرح التوهّم خدّه ... فالسحر يعمل فى البعيد النازحِ،

وفيها فى شعبان توفّى ابو القاسم علىّ بن محمّد بن احمد بن بيان[1] الرزّاز ومولده فى صفر سنة ثلاث عشرة واربعماية وهو آخر من حدّث عن ابى الحسن بن مخلد وابى القاسم بن بشران، وفيها توفّى ابو بكر محمّد بن منصور بن محمّد بن عبد الجبّار السمعانىّ رئيس الشافعيّة بمرو ومولده سنة ستّ واربعين[2] واربعماية وسمع الحديث الكثير وصنّف فيه وله فيه امالى حسنة وتكلّم على الحديث فاحسن ما شآء، وفيها توفّى محفوظ بن احمد بن الحسن الكلوذانىّ ابو الخطّاب الفقيه الحنبلىّ ومولده سنة اثنتين وثلاثين واربعماية وتفقّه على ابى يعلى بن الفرّآء ۞

ثمّ دخلت سنة احدى عشرة وخمسماية، سنة ١١٥

ذكر وفاة السلطان محمّد وملك ابنه محمود

فى هذه السنة فى الرابع والعشرين من ذى الحجّة توفّى السلطان محمّد بن ملكشاه بن الب ارسلان وكان ابتدآء مرضه فى شعبان وانقطع عن الركوب وتزايد مرضه ودام وارجف عليه بالموت فلمّا كان يوم عيد النحر حضر السلطان وحضر ولده السلطان محمود على

---

[1]) C. P. بمان ; Bodl. ببان. [2]) In marg. Cod. C. P. وثلاثين.

Digitized by Google

السماط فنهبه الناس ثم اذن لهم فدخلوا الى السلطان محمّد وقد تكلّف القعود لهم وبين يدَيْه سماط كبير فاكلوا وخرجوا فلمّا انتصف ذو الحجّة ايس من نفسه فاحضر ولده محمودًا وقبّله وبكى كلّ واحد منهما وامره ان يخرج ويجلس على تخْت السلطنة وينظر فى امور الناس وعمره اذذاك قد زاد على اربع عشرة سنة فقال لوالده انّه يوم غير مبارك يعنى من طريق النجوم فقال صدقتَ ولكن على ابيك وامّا عليك فمبارك بالسلطنة، فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارَيْن وفى يوم الخميس الرابع والعشرين أُحضر الامرآء وأُعلموا بوفاته وقريت وصيّته الى ولده محمود يامره بالعدل والاحسان وفى الجمعة الخامس والعشرين منه خُطب لمحمود بالسلطنة، وكان مولد السلطان محمّد ثامن عشر شعبان من سنة اربع وسبعين واربعماية وكان عمره سبع وثلاثين سنة واربعة اشهر وستّة ايّام واوّل ما دعى له بالسلطنة ببغداذ فى ذى الحجّة سنة اثنتين وتسعين وقُطعت خطبته عدّة دفعات على ما ذكرناه ولقى من المشاقّ والاخطار ما لا حدّ عليه فلمّا توفّى اخوه بركيارق صفت له السلطنة وعظمت هيبته وكثرت جيوشه واموالة وكان اجتمع الناس عليه اثنتى عشرة سنة وستّة اشهر۞

ذكر بعض سيرته

كان عادلًا حسن السيرة شجاعًا فمن عدله انّه اشترى مماليك من بعض التجار واحالهم بالثمن على عامل خوزستان فاعطاهم البعض ومطل بالباقى فحضروا مجلس الحكم واخذوا معهم غلمان القاضى فلمّا رآهم السلطان قال لحاجبه انظر ما حال هولآء فسألهم عن حالهم فقالوا لنا خصم بحضر معنا مجلس الحكم فقال من هو قالوا السلطان وذكروا قصّتهم فاعلمه ذلك فاشتدّ عليه واكره وامر باحضار العامل وامره بايصال اموالهم والجعل الثقيل[1] ونكل به حتّى يمتنع غيره عن

---

1) C. P. المعيل.

Digitized by Google

مثل فعله ثم انّه كان يقول بعد ذلك لقد ندمتُ ندمًا عظيمًا حيث لم احضر معهم مجلس الحكم فيقتدى بى غيرى ولا يمتنع احد عن الحضور فيه وادآء الحق ، فمن عدله انّه كان له خازن يعرف بابى احمد القزوينى قتله الباطنيّة فلمّا قُتل امر بعرض الخزانة فعرض عليه فيها دُرج فيه جوهر كثير نفيس فقال انّ هذا الجوهر عرضه علىّ منذ ايّام وهو فى ملك اصحابه وسلّمه الى خادم ليحفظه وينظر من اصحابه فيسلّم اليهم فسأل عنهم وكانوا تجارًا غرباء وقد تيقّنوا ذهابها لهم وايسوا منه فسكتوا فاحضرهم وسلّمه اليهم ، ومن عدله انّه اطلق المكوس والضرايب فى جميع البلاد ولم يعرف منه فعل قبيح وعلم الامرآء سيرته فلم يقدم احد منهم على الظلم وكفّوا عنه ومن محاسن اعماله ما فعله مع الباطنيّة على ما نذكره ۞

ذكر حال الباطنيّة ايّام السلطان محمّد

قد تقدّم ذكر ما اعتمده من حصر قلاعهم ونحن نذكر هاهنا زيادة اهتمامه بامرهم فانّه رحمه الله تعالى لمّا علم ان مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو اثارهم واخراب ديارهم وملك حصونهم وقلاعهم جعل قصدهم دأبهُ وكان فى ايّامه المقدّم عليهم والقيّم بامرهم الحسن بن الصبّاح الرازىّ صاحب قلعة ألَموت وكانت ايّامه قد طالت وله منذ ملك قلعة الموت ما يقارب ستّ وعشرين سنة وكان المجاورون له فى اقبح صورة من كثرة غزاته عليهم وقتْله واسْره رجالهم وسبى نسآيهم فسيّر اليه السلطان العساكر على ما ذكرناه فعادت من غير بلوغ غرض ، فلمّا اعضل دآوه ندب لقتاله الامير انوشتكين شيركير صاحب آبة وساوة وغيرهما فملك منهم عدّة قلاع منها قلعة كلام ملكها فى جمادى الاولى سنة خمس وخمسماية وكان مقدّمها يعرف بعلىّ بن موسى فآمنه ومن معه وسيّرهم الى الموت وملك منهم ايضًا قلعة بيرة وهى على سبعة فراسخ من قزوين وآمنهم وسيّرهم الى الموت ايضًا وسار الى قلعة الموت فيمن معه من العساكر وامدّه السلطان بعدّة من الامرآء

Digitized by Google

فحصرهم وكان هو من بينهم صاحب القرجة والبصيرة فى قتالهم مع جودة رأى وشجاعة فبنا عليها مساكن يسكنها هو ومن معه وعيّن لكلّ طايفة من الامرآء اشهرًا يقيمونها فكانوا ينيبون ويحضرون وهو ملازم للحصار وكان السلطان ينقل اليه الميرة والذخاير والرجال فضاق الامر على الباطنيّة وعُدمت عندهم الاقوات وغيرها فلمّا اشتدّ عليهم الامر نزلوا نسآءهم وابناءهم مستامنين ويسألوا ان يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ويُومّنوا فلم يجابوا الى ذلك واعادهم الى القلعة قصدًا ليموت الجميع جوعًا وكان ابن الصبّاح يجرى لكلّ رجل منهم فى اليوم رغيفًا وثلاث جوزات فلمّا بلغ بهم الامر الى الحدّ الذى لا مزيد عليه بلغهم موت السلطان محمّد فقويت نفوسهم وطابت قلوبهم ووصل الخبر الى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم وعزموا على الرحيل فقال شيركير ان رحلنا عنهم وشاع الامر نزلوا الينا واخذوا ما اعددناه من الاقوات والذخاير والراى ان نقيم على قلعتهم حتّى نفتحها وان لم يكن المقام فلا بدّ من مقام ثلاثة ايّام حتّى ينفذ منّا ثقلنا وما اعددناه ونحرق ما نعجز عن حمله لئلّا ياخذه العدوّ، فلمّا سمعوا قوله علموا صدقه فتعاهدوا على الاتّفاق والاجتماع فلمّا امسوا رحلوا من غير مشاورة ولم يبق غير شيركير ونزل اليه الباطنيّة من القلعة فدافعهم وقاتلهم وحمى مَنْ تخلّف من سوقة العسكر واتباعه ولحق بالعسكر[1] فلمّا فارق القلعة غنم الباطنيّة ما تخلّف عندهم ۞

ذكر حصار قابس والمهديّة

فى هذه السنة جهّز علىّ بن يحيى صاحب افريقية اسطولًا فى البحر الى مدينة قابس وحصرها وسبب ذلك انّ صاحبها رافع بن

---

[1]) Hic C. P. sequentem inserit sententiam: فاظهر الامرآء الذين كانوا معه ان كتب السلطان محمد الى اصبهان فحبسوه بها الى, quam librarius nota ۴ insignivit.

Digitized by Google

مكّن الدهانيّ انشا مركبًا بساحلها ليحمل التجار فى البحر وكان ذلك آخر ايّام الامير يحيى فلم ينكر يحيى ذلك جريًا على عادته فى المداراة فلمّا ولى علىّ الامر بعد ابيه انف من ذلك وقال لا يكون لاحد من اهل افريقية ان يناوينى فى اجرآء المراكب فى البحر بالتجار فلمّا خاف رافع ان يمنعه علىّ النجا الى اللعين رجّار ملك الفرنج بصقليّة واعتضد به فوعده رجّار ان ينصره ويعينه على اجرآء مركبه فى البحر وانفذ فى الحال اسطولًا الى قابس فاجتازوا بالمهديّة فحينيذ تحقق علىّ اتّفاقهما وكان يكذّبه فلمّا جاز اسطول رجّار بالمهديّة اخرج علىّ اسطوله فى اثره فتوافى الجميع الى قابس فلمّا رأى صاحبها اسطول الفرنج والمسلمين لم يخرج مركبه فعاد اسطول الفرنج وبقى اسطول علىّ يحصر رافعًا بقابس مضيّقًا عليها، ثم عادوا الى المهديّة وتمادى رافع فى المخالفة لعلىّ وجمع قبايل العرب وسار بهم حتّى نزل على المهديّة محاصرًا لها وخادع عليًّا وقال انّى انّما جيّت للدخول فى الطاعة وطلب من يسْعَى فى الصُلح وافعاله تكذّب اقواله فلم يجبه عن ذلك بحرف واخرج العساكر وحملوا على رافع ومَنْ معه حملة منكرة فالحقوهم بالبيوت ووصل العسكر الى البيوت فلمّا راى ذلك النسآء صِحْنَ وولولْنَ فغارت العرب وعاودت القتالَ واشتدّ حينيذ الامر الى المغرب ثم افترقوا وقد قُتل من عسكر رافع بشر كثير ولم يُقْتَل من جند علىّ غير رجل واحد من الرجالة ثم خرج عسكر علىّ مرّة اخرى فاقتتلوا اشدّ من القتال الاوّل كان الظهور فيه لعسكر علىّ فلمّا رأى رافع انّه لا طاقة له بهم رحل عن المهديّة ليلًا الى القيروان فمنعه اهلها من دخولها فقاتلهم ايّامًا قلايل ثم دخلها فارسل علىّ اليه عسكرًا من المهديّة فحصروه فيها الى ان خرج عنها وعاد الى قابس ثم انّ جماعة من اعيان افريقية من العرب وغيرهم سألوا عليًّا فى الصلح فامتنع ثم اجاب الى ذلك وتعاهد عليه ☆

Digitized by Google

ذكر الوحشة بين رجّار والامير علىّ

كان رجّار صاحب صقليّة بينه وبين الامير علىّ صاحب افريقية مودّة وكيدة الى ان اعان رافعًا كما تقدّم قبلُ فاستوحش كلّ منهما من صاحبه ثمّ بعد ذلك خاطبه رجّار بما لم تجْرِ عادتهم به فتناكدت الوحشة فارسل رجّار رسالة فيها خشونة فاحترز علىّ منه وامر بتجديد الاسطول واعداد الاهبة للقآء العدوّ وكاتب المرابطين بمرّاكش فى الاجتماع معه على الدخول الى صقليّة فكفّ رجّار عمّا كان يعتمده

ذكر قتل صاحب حلب واستيلآء ايلغازى عليها

فى هذه السنة قُتل لؤلؤ الخادم وكان قد استولى على قلعة حلب واعمالها بعد وفاة الملك رضوان وولى اتابكيّة ولده الب ارسلان فلمّا مات اقام بعده فى الملك سلطانشاه بن رضوان وحكم فى دولته اكثر من حكمه فى دولة اخيه فلمّا كان هذه السنة سار منها الى قلعة جعبر ليجتمع بالامير سالم بن مالك صاحبها فلمّا كان عند قلعة نادر نزل يريق المآء فقصده جماعة من اصحابه الاتراك وصاحوا ارنب ارنب واوهموا انّهم يتصيّدون ورموه بالنشّاب فقُتل فلمّا هلك [نهبوا] خزانته[1] فخرج اليهم اهل حلب فاستعادوا ما اخذوه وولى اتابكيّة سلطانشاه بن رضوان شمس الخواصّ يارو قتاش فبقى شهرًا وعزلوه وولى بعده ابو المعالى بن الملحىّ الدمشقىّ ثمّ عزلوه وصادروه، وقيل كان سبب قتل لؤلؤ انّه اراد قتل سلطانشاه كما قتل اخاه الب ارسلان قبله فغطن به اصحاب سلطانشاه فقتلوه، وقيل كان قتله سنة عشر وخمسماية والله اعلم، ثمّ انّ اهل حلب خافوا من الفرنج فسلّموا البلد الى نجم الدين ايلغازى فلمّا تسلّمه لم يجد فيه مالًا ولا ذخيرة لانّ الخادم كان قد فرّق الجميع وكان الملك رضوان قد جمع فاكثر فرزقه الله غير اولاده فلمّا رأى ايلغازى خلوّ البلد من

---

[1]) In C. P. عوائده nota ٢ superscripta.

Digitized by Google

الاموال صادر جماعة من الخدم بمال صانع به الفرنج وهادنهم مدّة يسيرة تكون بمقدار مسيره الى ماردين وجمْع العساكر والعود فلمّا تمّت الهدنة سار الى ماردين على هذا العزم واستخلف بحلب ابنَهُ حُسام الدين تمرتاش ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى رابع عشر صفر انخسف القمر انخسافًا كلّيًا، وفى هذه الليلة هجم الفرنج على ربض حماة من الشام وقتلوا من اهلها ما يزيد على ماية رجل وعادوا، وفيها فى يوم عرفة كانت زلزلة بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد وخربت ببغداذ دور كثيرة بالجانب الغربىّ، وفيها مات احمد العربىّ ببغداذ وكان من عباد الله الصالحين له كرامات وقبره يزار بها، وفى هذه السنة فى شوّال توفّى ابو علىّ محمّد بن سعد بن ابراهيم بن نبهان الكاتب وعُمره ماية سنة وكان عالى الاسناد روى عن ابى علىّ بن شاذان وغيره، والحسن بن احمد ابن جعفر ابو عبد الله الشقّانى الفرضىّ الحاسب وكان واحد عصره فى علم الفرايض والحساب وسمع الحديث من ابى الحسين بن المهتدى وغيره، وفيها مات الكزايكس[1] ملك القسطنطينيّة وملك بعده ابنه يوحنّا وسلك سيرته، وفيها مات دوقس انطاكية وكفى الله شرّه ☆

ثمّ دخلت سنة اثنتى عشرة وخمسماية، سنة ٥١٢

ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق وولاية البُرسقىّ شحنكيّة بغداذ

لمّا توفّى السلطان محمّد وملك بعده ابنه محمود ودبّر دولته الوزير الربيب ابو منصور ارسل الى الخليفة المستظهر بالله يطلب ان يخطب له ببغداذ فخُطب له فى الجمعة ثالث عشر المحرّم وكان شحنة بغداذ بهروز، ثمّ انّ الامير دُبَيْس بن صدقة كان عند السلطان محمّد مذ قُتل والده على ما ذكرناه فاحسن اليه واقطعه اقطاعًا كثيرًا

---

[1]) Bodl. الكرالمس ; C.P. الكرايكس ; nomen Alexii hìc latere, patet.

Digitized by Google

فلمّا توفّى السلطان محمّد خاطب السلطانَ محمودًا فى العود الى بلده الحلّة فاذن له فى ذلك فعاد اليها فاجتمع عليه خلق كثير من العرب والاكراد وغيرهم وكان آقسنقر البرسقىّ مقيمًا بالرحبة وفى اقطاعه وليس بيده من الولايات شىء فاستخلف عليها ابنه عزّ الدين مسعود وسار الى السلطان محمّد قبل موته عازمًا على مخاطبته فى زيادة اقطاعه فبلغه وفاة السلطان محمّد قبل وصوله الى بغداذ وسمع مجاهد الدين بهروز بقربه من بغداذ فارسل اليه يمنعه من دخولها فسار الى السلطان محمود فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكيّة بغداذ وهو بحلوان وعزل بهروز وكان الامرآء عند السلطان يريدون البرسقىّ ويتعصّبون له ويكرهون مجاهد الدين بهروز ويحسدونه لقربه كان عند السلطان محمّد وخافوا ان يزداد تقدّمًا عند السلطان محمود وحكمًا، فلمّا ولى البرسقىّ شحنكيّةَ بغداذ هرب بهروز الى تكريت وكانت له، ثم انّ السلطان ولى شحنكيّة بغداذ الامير منكوبرس وهو من اكابر الامرآء وقد حكم فى دولة السلطان محمود فلمّا اعطى الشحنكيّة سيّر اليها ربيبه الامير حسين بن ازبك احد الامرآء الاتراك وهو صاحب اسداباذ لينوب عنه ببغداذ والعراق وفارق السلطان من باب همذان واتّصل به جماعة الامرآء البكجيّة وغيرهم، فلمّا سمع البرسقىّ خاطب الخليفة المستظهر بالله ليامره بالتوقّف الى ان يكاتب السلطانَ ويفعل ما يرد به الامر عليه فارسل اليه الخليفة فاجاب ان يرسم الخليفة بالعود عُدْتُ والّا فلا بدّ من دخول بغداذ، فجمع البرسقىّ اصحابه وسار اليه فالتقوا واقتتلوا فقُتل اخٌ لحسين وانهزم هو ومن معه وعادوا الى عسكر السلطان فكان ذلك فى شهر ربيع الاوّل قبل وفاة المستظهر بالله بايّام ☆

ذكر وفاة المستظهر بالله

فى هذه السنة سادس عشر شهر ربيع الآخر توفّى المستظهر بالله ابو العبّاس احمد بن المقتدى بامر الله وكان مرضه التراقى وكان

Digitized by Google

عمره احدى واربعين سنة وستّة اشهر وستّة ايّام وخلافته اربع وعشرين سنة وثلاثة اشهر واحد عشر يومًا ووزر له عميد الدولة ابو منصور ابن جهير وسديد الملك ابو المعالى المفضّل بن عبد الرزّاق الاصبهانىّ وزعيم الروساء ابو القاسم بن جهير ومجد الدين ابو المعالى هبة الله بن المطّلب ونظام الدين ابو منصور الحسين بن محمّد وناب عن الوزارة امين الدولة ابو سعد بن الموصلايا وقاضى القضاة ابو الحسن علىّ بن الدامغانىّ ومضا فى ايّامه ثلاثة سلاطين خُطب لهم بالحضرة وهم تاج الدولة تتش بن الب ارسلان والسلطان بركيارق ومحمّد ابنا ملكشاه، ومن غريب الاتّفاق انّه لمّا توفّى السلطان الب ارسلان توفّى بعده القايم بامر الله ولمّا توفّى السلطان ملكشاه توفّى بعده المقتدى بامر الله ولمّا توفّى السلطان محمّد توفّى بعده المستظهر بالله ❁

ذكر بعض الخلافة وسيرته

كان رضىّ لين الجانب كريم الاخلاق يحبّ اصطناع الناس ويفعل الخير ويسارع الى اعمال البرّ والمثوبات مشكور المساعى لا يردّ مكرمة تطلب منه وكان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغٍ الى سعاية ساعٍ ولا ملتفت الى قوله ولم يعرف منه تلوّن وانحلال عزم باقوال اصحاب الاغراض وكانت ايّامه ايّام سرور للرعيّة فكانّها من حُسنها اعياد وكان اذا بلغه ذلك فرح به وسرّه واذا تعرّض سلطان او نايب له الى اذى احدٍ بالغ فى انكار ذلك والزجر عنه وكان حسن الخطّ جيد التوقيعات لا يقاربه فيها احد يدلّ على فضل غزير وعلم واسع ولمّا توفّى صلّى عليه ابنه المسترشد بالله وكبّر اربعًا ودُفن فى حجرة له كان يألفها، ومن شعره قوله

اذابَ حرُّ الهوى فى القلب ما جمد
لمّا مددتُ الى رسم الوداع يدًا

وكيف اسلك نهج الاصطبار وقد
ارى طرايف فى مهوى الهوى قِدَدَا
قد اخلف الوعدَ بدرٌ قد شعفت به
من بعد ما قد وفا دهرى بما وعدا
* ان كنتُ[1] انقض عهد الحبّ فى خلدى[2]
من بعد هذا فلا عاينتُه ابدَا ۞

ذكر خلافة الامام المسترشد بالله

لمّا توفّى المستظهر بالله بويع ولده المسترشد بالله ابو منصور الفضل بن ابى العبّاس احمد بن المستظهر بالله وكان ولىّ عهد قد خُطب له ثلاثة وعشرين سنة فبايعاه اخواه ابنا المستظهر بالله وهما ابو عبد الله محمّد وابو طالب العبّاس وعمومته بنو المقتدى بامر الله وغيرهم من الامرآء والقضاة والايمّة والاعيان وكان المتولّى لاخذ البيعة القاضى ابو الحسن الدامغانىّ وكان نايبًا عن الوزارة فاقرّه المسترشد بالله عليها ولم ياخذ البيعة قاضٍ غير هذا واحمد بن ابى داود فانّه اخذها للواثق بالله والقاضى ابو علىّ اسماعيل بن اسحاق اخذها للمعتضد بالله، ثم انّ المسترشد عزل قاضى القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر ابا شجاع محمّد بن الربيب ابى منصور وزير السلطان محمود وكان والده خطيب فى معنى ولده حتّى استوزر وقبض على صاحب المخزن ابى طاهر يوسف بن احمد الخُرَّىّ ۞

ذكر هرب الامير ابى الحسن اخى المسترشد وعوده

لمّا اشتغل الناس ببيعة المسترشد بالله ركب اخوه الامير ابو الحسن بن المستظهر بالله سفينة ومعه ثلاثة نفر واحدر الى المداين وسار منها الى دُبَيْس بن صدقة بالحلّة فكرّمه دبيس وعلم منه وفاة المستظهر بالله واقام له الاقامات الكثيرة فلمّا علم المسترشد بالله

---

[1]) Bodl.; lacuna in C. P. [2]) Bodl. جلدى.

Digitized by Google

خبره الله ذلك واقلقه وارسل الى دبيس يطلب منه اعادته فاجاب بانّى عبد الخليفة وواقف عند امره ومع هذا فقد استذمّ بى ودخل منزلى فلا اكرهه على امر ابدًا، وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين علىّ بن طراد الزينبىّ فقصد الامير ابا الحسن وتحدّث معه فى عوده وضمن له عن الخليفة كما يريده فاجاب الى العود وقال انّى لم افارق اخى لشرّ اريده وانّما الخوف حملنى على مفارقته فاذا آمننى قصدتُهُ، وتكفّل دبيس باصلاح الحال بنفسه والمسير معه الى بغداذ فعاد النقيب واعلم الخليفة الحال فاجاب الى ما طلب منه، ثم حدث من امر البرسقىّ ودبيس ومنكوبرس ما ذكرناه فتاخّر الحال واقام الامير ابو الحسن عند دبيس الى ثانى عشر صفر سنة ثلاث عشرة وخمسماية ثم سار عن الحلّة الى واسط وكثر جمع وقوى الارجاف بقوّته وملك مدينة واسط وخيف جانبه فتقدّم الخليفة المسترشد بالله باالخطبة لولىّ عهده ولده ابى جعفر المنصور وعمره حينيذ اثنتى عشرة سنة فخُطب له ثانى ربيع الاخر ببغداذ وكتب الى البلاد بالخطبة له وارسل الى دُبَيْس بن مَزْيد فى معنى الامير ابى الحسن وانّه الآن قد فارق جواره ومدّ يده الى بلاد الخليفة وما يتعلّق به وامره بقصده ومعاجلته قبل قوّته فارسل دبيس العساكر اليه ففارق واسط وقد تحيّر هو واصحابه فصلّوا الطريق ووصلت عساكر دبيس فصادفوهم عند الصلْح فنهبوا اثقاله وهرب الاكراد من اصحابه والاتراك وعاد الباقون الى دبيس وبقى الامير ابو الحسن فى عشرة من اصحابه وهو عطشان وبينه وبين الماء خمسة فراسخ وكان الزمان قيظًا فايقن بالتلف وتبعه بدويان فاراد الهرب منهما فلم يقدر فاخذاه وقد اشتدّ به العطش فسقياه وحملاه الى دبيس فسيّره الى بغداذ وحمله الى الخليفة بعد ان بذل له عشرين الف دينار فحمل الى الدار العزيزة وكان بين خروجه عنها وعوده اليها احد عشر شهرًا ولمّا دخل على المسترشد بالله قبّل قدمَه وقبّله المسترشد وبكيا

وانزله دارًا حسنة كان هو يسكنها قبل ان يلى الخلافة وحمل اليه الخلع والتحف الكثيرة وطيّب نفسه وآمنه ☆

ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك الى العراق وما كان بينهما وبين البُرسقىّ ودُبَيْس

فى هذه السنة فى جمادى الاولى برز البرسقىّ ونزل باسفل الرقّة فى عسكره ومَن معه واظهر انّه على قصد الحلّة واجلاّه دُبَيْس بن صدقة عنها، وجمع دبيس جموعًا كثيرة من العرب والاكراد وفرّق الاموال الكثيرة والسلاح، وكان الملك مسعود بن السلطان محمّد بالموصل مع اتابكه اى ابه[1] جيوش بك فاشار عليهما جماعة ممّن عندهما بقصد العراق فانّه لا مانع دونه فسارا فى جيوش كثيرة ومع الملك مسعود وزيره فخر الملك ابو علىّ بن عمّار صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكى بن آقسنقر جدّ ملوكنا الآن بالموصل وكان من الشجاعة فى الغاية ومعهم ايضًا صاحب سنجار وابو الهيجاء صاحب اربل وكرباوى بن خراسان التركمانىّ صاحب البوازيج، فلمّا علم البرسقىّ قربهم خافهم وكان البرسقىّ قديمًا قد جعله السلطان محمّد اتابك ولده مسعود على ما ذكرناه وانّما كان خوفه من جيوش بك فلمّا قاربوا بغداذ سار اليهم ليقاتلهم ويصدّهم فلمّا علم مسعود وجيوش بك ذلك ارسلوا اليه الامير كرباوى فى الصلح واعلمه انّهم انّما جاءوا نجدةً له على دبيس واصطلحوا وتعاهدوا واجتمعوا ووصل مسعود الى بغداذ ونزل بدار المملكة ووصلهم الخبر بوصول الامير عماد الدين منكبرس المقدّم ذكره فى جيش كثير فسار البرسقىّ عن بغداذ نحوه ليحاربه ويمنعه عنها فلمّا علم به منكبرس قصد النعمانيّة وعبر دجلة هناك واجتمع هو ودبيس بن صدقة، وكان دبيس قد خاف من الملك مسعود والبرسقىّ فبنا امره على المخاجزة والملاطفة فاهدى

---

[1]) Bodl. اى ابه ; C. P. ازبه.

الى مسعود هدية حسنة والبرسقىّ وجيوش بك فلمّا وصله خبر وصول منكبرس راسله واستماله واستحلفه واتّفقا على التعاضد والتناصر واجتمعا وكلّ واحد منهما قوى بصاحبه فلمّا اجتمعا سار الملك مسعود والبرسقىّ وجيوش بك ومَن معهم الى المدايين للقآء دبيس ومنكبرس فلمّا وصلوا المدايين اتتهم الاخبار بكثرة الجمع معهما فعاد البرسقىّ والملك مسعود وعبرا نهر صرصر وحفظا المخاضات عليه ونهب الطايفتان السواد نهبًا فاحشًا نهر الملك ونهر صرصر ونهر عيسى وبعض دُجَيْل واستباحوا النسآء، فارسل المسترشد بالله الى الملك مسعود والبرسقىّ ينكر هذه الحال ويامرهم بحقن الدمآء وترْك الفساد ويامر بالموادعة والمصالحة وكان الرسل سديد الدولة بن الانبارىّ والامام الاسعد الميهنىّ مدرّس النظاميّة فانكر البرسقىّ ان يكون جرى منهما شىء من ذلك واجاب الى العود الى بغداذ فوصل من اخبره انّ منكبرس ودبيسًا قد جهّزا ثلاثة الاف فارس مع منصور اخى دبيس والامير حسين بن ازبك ربيب منكبرس وسيّراه وعبر عند درزيجان ليقطعوا مخاضة عند ديالى الى بغداذ لخلوّها من عسكر يحميها ويمنع عنها فعاد البرسقىّ الى بغداذ وعبر الجسر ليلًا يخاف الناس ولم يعلموا الخبر وخلّف ابنه عزّ الدين مسعود على عسكره بصرصر واستصحب معه عماد الدين زنكى بن آقسنقر فوصل الى ديالى ومنع عسكر منكبرس من العبور فاقام يومَيْن فاتاه كتاب ابنه عزّ الدين مسعود يخبره انّ الصلح قد استقرّ بين الفريقَيْن فانكسر نشاطه حيث جرى هذا الامر ولم يعلم به وعاد نحو بغداذ وعبر الى الجانب الغربى وعبر منصور وحسين فسارا فى عسكرهما خلفه فوصلوا بغداذ عند نصف الليل فنزلا عند جامع السلطان وسار البرسقىّ الى الملك مسعود فاخذ بركه وماله وعاد الى بغداذ فخيّم عند القنطرة العتيقة واصعد الملك مسعود وجيوش بك فنزلا عند البيمارستان واصعد دبيس ومنكبرس فخيّما تحت الرقّة واقام عزّ الدين مسعود بن

Digitized by Google

البرسقيّ عند منكبرس منفردًا عن ابيه، وكان سبب هذا الصلح انّ جيوش بك كان قد ارسل الى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود فوصل كتاب الرسول من العسكر يذكر انّه لقى من السلطان احسانًا كثيرًا وانّه قطعهم اذربيجان فلمّا بلغه رحيلكم الى بغداذ اعتقد انّكم قد عصيتم عليه فعاد عمّا كان استقرّ ويقول انّ السلطان قد جهّز عسكرًا الى الموصل، فوقع الكتاب بيد منكبرس فارسله الى جيوش بك وضمن له اصلاح السلطان له وللملك مسعود وكان منكبرس متزوّجًا بامّ الملك مسعود واسمها سرجهان وكان يوثر مصلحته لذلك واستقرّ الصلح وخافا من البرسقيّ ان يمنع منه فاتّفقا على ارسال العسكر الى درزيجان لينفذ فى مقابلته البرسقيّ ليخلوا العسكر منه ويقع الاتّفاق فكان الامر فى مسيره على ما تقدّم وكان البرسقيّ محبوبًا الى اهل بغداذ لحسن سيرته فيهم فلمّا استقرّ الصلح ووصلوا الى بغداذ تفرّق عن البرسقيّ اصحابه وجموعه وبطل ما كان يحدّث به نفسه من التغلّب على العراق بغير امر السلطان وسار عن العراق الى الملك مسعود فاقام معه واستقرّ منكبرس فى شحنكيّة بغداذ وودّعه دبيس بن صدقة وعاد الى الحلّة بعد ان طالب بدار ابيه بدرب فيروز وكانت قد دخلت فى جامع القصر ببغداذ فصولح عنها بمال، واقام منكبرس ببغداذ يظلم ويعسف الرعيّة ويصادرهم فاختفى ارباب الاموال وانتقل جماعة الى حريم دار الخلافة خوفًا منه وبطلت معايش الناس واكثر اصحابه الفساد حتّى انّ بعض اهل بغداذ زفّت اليه امراة تزوّجها فعلم بعض اصحاب منكبرس فاتاه وكسر الباب وجرح الزوج عدّة جراحات وابتنى بزوجته فكثر الدعاء ليلًا ونهارًا واستغاث الناس لهذه الحال واغلقوا الاسواق فأُخذ الجندىّ الى دار الخلافة فاعتقل ايّامًا ثمّ أُطلق، وسمع السلطان بما يفعله منكبرس ببغداذ فارسل اليه يستدعيه وبجثّه على اللحوق به وهو يغالط ويدافع وكلّما طلبه السلطان لجّ فى جمع الاموال والمصادرات،

Digitized by Google

فلمّا علم اهل بغداذ تغثير السلطان عليه واستدعآيه اياه طمعوا فيه فسار حينيذ منكبرس عنهم خوفاً ان يثوروا به وكفى الناس شرّه وظهر من كان مستترًا ☆

ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين

فى ذى الحجّة من سنة احدى عشرة وخمسماية توفّى بغدوين ملك القدس وكان قد سار الى ديار مصر فى جمع الفرنج قاصدًا ملكها والتغلّب عليها وقوى طمعه فى الديار المصريّة وبلغ مقابل تنّيس وسبح فى النيل فانتقض جرح كان به فلمّا احسّ بالموت عاد الى القدس فمات ووصّى ببلاده للقمّص صاحب الرها وهو الذى كان اسره جكرمش واطلقه جاولى سقاوو واتّفق انّ هذا القمّص كان قد سار الى القدس يزور ببيعة قمامة فلمّا وصّى اليه بالملك قبله واجتمع له القدس والرها، وكان اتابك طغتكين قد سار عن دمشق لقتال الفرنج فنزل بين دَيْر ايّوب وكفر بَصَل[1] باليرموك فخفيت عنه وفاة بغدوين حتّى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يومًا وبينهم نحو يومَيْن فاتته رسل ملك الفرنج يطلب المهادنة فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة لله بينهم من *جبل عوف والخنانة[2] والصلت[3] والغور فلم يجب الى ذلك واظهر القوّة فسار طغتكين الى طبريّة فنهبها وما حولها وسار منها نحو عسقلان وكانت للمصريّين وبها عساكرهم كانوا قد سيّروها لمّا عاد ملك القدس المتوفّى عن مصر وكانوا سبعة الاف فارس فاجتمع بهم طغتكين واعلمه المقدّم عليهم انّ صاحبهم تقدّم اليه بالوقوف عند رآى طغتكين والتصرّف على ما يحكم به فاقاموا بعسقلان نحو شهرَيْن ولم يوثروا فى الفرنج اثرًا فعاد طغتكين الى دمشق، فاتاه الصريخ بانّ ماية وثلاثين فارسًا من الفرنج اخذوا حصنًا من اعماله يعرف بالحبس يعرف بحصن جلدك سلّمه اليهم المستحفظ به

---

[1]) Bodl. sine punct. C. P. كفر بصل. [2]) C. P. الخنانه; Bodl. حمل عوف والخمانه. [3]) Bodl. والمصلب.

Digitized by Google

وقصدوا اذرعات فنهبوها فارسل اليهم تاج الملوك بورى بن طغتكين فانحازوا عنه الى جبل هناك فنازلهم فاتاه ابوه ونهاه عنهم فلم يفعل وطمع فيهم فلمّا ايس الفرنج قاتلوا قتال مُسْتقتل فنزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة هزموهم بها واسروا وقتلوا خلقًا كثيرًا وعاد الفلّ الى دمشق على اسوأ حال، فسار طغتكين الى حلب وبها ايلغازى فاستنجده وطلب منه التعاضد على الفرنج فوعده المسير معه فبينما هو بحلب اتاه الخبر بانّ الفرنج قصدوا حوران من اعمال دمشق فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا فاتّفق راى طغتكين وايلغازى * على عود طغتكين الى دمشق وحماية بلاده وعود ايلغازى[1] الى ماردين وجَمْع العساكر والاجتماع على حرب الفرنج فصالح ايلغازى مَن يليه من الفرنج على ما تقدّم ذكره وعبر الى ماردين لجمع العساكر وكان ما نذكره سنة ثلاث عشرة ان شآء الله تعالى ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة انقطع الغيث وعُدمت الغلّات فى كثير من البلاد وكان اشدّه بالعراق فغلت الاسعار واجلى اهل السواد وتقوّت الناس بالنخالة وعظم الامر على اهل بغداد بما كان يفعله منكبرس بهم، وفيها اسقط المسترشد بالله من الاقطاع المختصّ به كلّ جَور وامر ان لا يوخذ الّا ما جرت به العادة القديمة واطلق ضمان غزل الذهب وكان صنّاع السقْلاطون والمزّج وغيرهم ممّن يعمل منه يلقون شدّة من العمّال عليها واذًى عظيمًا، وفيها تاخّر مسير الحجّاج تاخّرًا ارجف بسببه بانقطاع الحجّ من العراق فرتّب الخليفة الامير نظر خادم امير الجيوش يمُن وولّاه من امر الحجّ ما كان يتولّاه امير الجيوش واعطاه من المال ما يحتاج اليه فى طريقه وسيّره فادركوا الحجّ وظهرت كفاية نظر، وفيها وصل مركبان كبيران فيهما قوّة ونجدة للفرنج

---

[1]) Bodl.; Om. C. P.

Digitized by Google

بالشام، فغرقا وكان الناس قد خافوا ممّن فيهما، وفيها وصل رسول ايلغازى صاحب حلب وماردين الى بغداذ يستنفر على الفرنج ويذكر ما فعلوا بالمسلمين فى الديار الجزريّة وانّهم ملكوا قلعة عند الرها وقتلوا اميرها ابن عُطَيْر فسُيّرت الكتب بذلك الى السلطان محمود، وفيها نُقل المستظهر الى الرصافة وجميع من كان مدفونًا بدار الخلافة وفيهم جدّة المستظهر امّ المقتدى وكان وفاتها بعد المستظهر ورات البطن الرابع من اولادها، وفيها كثر امر العيّارين بالجانب الغربىّ من بغداذ فعبر اليهم نايب الشحنة فى خمسين غلامًا اتراكًا فقاتلهم فانهزم منهم ثم عبر اليهم من الغد فى ماينَىْ غلام فلم يظفر بهم ونهب العيّارون يوميذ قُطْفتا، فى هذه السنة فى شعبان توفّى ابو الفضل بكر بن محمّد بن علىّ بن الفضل الانصارىّ من ولد جابر ابن عبد الله وهو من بلد بخارا وكان من اعيان الفقهآء الحنفيّة حافظًا للمذهب، وتوفّى ابو طالب الحسين بن محمّد بن علىّ بن الحسن الزينبىّ نقيب النقبآء ببغداذ فى صفر واستقال من النقابة فوليها اخوه طراد وكان من اكابر الحنفيّة وروى الحديث الكثير، وفيها فى ذى الحجّة توفّى ابو زكريّآء يحيى بن عبد الوهّاب بن منده الاصبهانىّ المحدّث المشهور من بيت الحديث وله فيه تصانيف حسنة، وفيها توفّى ابو الفضل احمد بن الخازن وكان اديبًا ظريفًا له شعر حسن، فمنه قوله وقد قصد زيارة صديق له فلم يره فادخله غلمانه الى بستان فى الدار وحمّام فقال فى ذلك

وافيتُ منزلَهُ فلم ارَ صاحبًا ... الّا تلقّانى بوجه صاحك
والبشر فى وجه الغلام نتيجة ... لمقدّمات ضيآء وجه المالك
ودخلتُ جنّتَهُ وزُرت حميمَهُ ... فشكرتُ رضوانًا ورأفة مالك

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسماية، سنة ٥١٣

ذكر عصيان الملك طغرل على اخيه السلطان محمود

كان الملك طغرل بن محمّد لمّا توفّى والده بقلعة سرجهان وكان

Digitized by Google

مولده سنة ثلاث وخمسماية فى المحرّم واقطعه والده سنة اربع ساوة وآوة وزنجان وجعل اتابكه الامير شيركير الذى تقدّم ذكره فى حصار قلاع الاسماعيليّة فازداد مُلك طغرل بما فتحه شيركير من قلاعهم فارسل اليه السلطان محمود الامير كنتغدى ليكون اتابكًا له ومدبّرًا لامره ويحمله اليه فلمّا وصل اليه حسّن له مخالفة اخيه وترْك المجيء اليه واتّفقا على ذلك وسمع السلطان محمود الخبر فارسل شرف الدين انوشروان بن خالد ومعه خلع وتحف وثلاثون الف دينار ووعد اخاه باقطاع كثير زيادة على ما له اذا قصده واجتمع به فلم تقع الاجابة الى الاجتماع واجاب كنتغدى * بانّنا فى طاعة[1] السلطان واىّ جهة اراد قصدناها ومعنا من العساكر ما تقاوم بها من يرسم بقصده، فبينما الخوض معهم فى ذلك ركب السلطان محمود من باب همذان فى عشرة الاف فارس جريدة فى جمادى الاولى وكتم مقصده وعزم على ان يكبس اخاه والامير كنتغدى فرأى احد خواصّه تركيًّا من اصحاب الملك طغرل فاعلم السلطان به فقبض عليه فعلم رفيق كان معه الحال فسار عشرين فرسخًا فى ليلة ووصل الى الامير كنتغدى وهو سكران فايقظه بعد جهد واعلمه الحال فقصد الملك طغرل فعرّفه ذلك واخذه متخفّيًا وقصد قلعة سَميران[2] فضلّا عن الطريق الى قلعة سرجهان وكانا قد فارقاها وجمعا العساكر وكان ضلالهما هداية لهما الى السلامة فانّ السلطان محمود جعل طريقه على سميران وقال انّها حصنهما الذى فيه الذخاير والاموال واذا علما بوصوله اليهما سارا اليها فربّما صادفهما فى الطريق، فسلما منه بما ظنّاه عَطَبًا لهما ووصل السلطان الى العسكر فكبسه ونهبه واخذ من خزانة اخيه ثلاثماية الف دينار وذلك المال الذى انفذه له واقام السلطان محمود بزنجان وتوجّه منها الى الرىّ ونزل طغرل من

---

[1]) Bodl.; C. P. نايبًا عن السلطان. [2]) Cod. C. P. شميران h. l.; Bodl. شهيران.

Digitized by Google

سرجهان ولحق هو وكنتغدى بكنجة وقصده اصحابه فقويت شوكته وتمكّنت الوحشة بينه وبين اخيه محمود ❁

ذكر الحرب بين سنجر والسلطان محمود

فى هذه السنة فى جمادى الاولى كانت حرب شديدة بين سنجر وابن اخيه السلطان محمود ونحن نذكر سياقة ذلك، قد ذكرنا سنة ثمان وخمسماية مسير السلطان سنجر الى غزنة وفتحها وما كان منه فيها ثم عاد عنها الى خراسان فلمّا بلغه وفاة اخيه السلطان محمّد وجلوس ولده السلطان محمود فى السلطنة وهو زوج ابنة سنجر لحقه حزن عظيم لموت اخيه واظهر من الجزع والحزن ما لم يُسمع بمثلة وجلس للعزآء على الرماد واغلق البلد سبعة ايّام وتقدّم الى الخطبآء بذكر السلطان محمّد بمحاسن اعماله من قتال الباطنيّة واطلاق المكوس وغير ذلك وكان سنجر يلقّب بناصر الدين فلمّا توفّى اخوه محمّد تلقّب بمعزّ الدين وهو لقب ابيه ملكشاه وعزم على قصد بلد الجبال والعراق وما بيد محمود بن اخيه فندم على قتْل وزيره ابى جعفر محمّد بن فخر الملك ابى المظفّر بن نظام الملك، وكان سبب قتله انه وحّش الامرآء واستخفّ بهم فابغضوه وكرهوه وشكوا منه الى السلطان وهو بغزنة فاعلمهم انّه يوثر قتله وليس يمكنه فعل ذلك بغزنة وكان سنجر قد تغيّر على وزيره لاسباب منها انّه اشار عليه بقصد غزنة فلمّا وصل الى بُست ارسل ارسلانشاه صاحبها الى الوزير وضمن له خمسماية الف دينار ليُثْنى سنجر عن قصده فاشار عليه بمصالحته والعود عنه وفعل مثل ذلك بما ورآء النهر ومنها انّه نُقل عنه انّه اخذ من غزنة اموالًا جليلة عظيمة المقدار ومنها ما ذكر من ايحاشه الامرآء وغير هذه الاسباب، فلمّا عاد الى بلخ قبض عليه وقتله واخذ واخذ ماله وكان له من الجواهر والاموال ما لا حدّ عليه والذى وجد له من العين الفا الف دينار فلمّا قتله استوزر بعده شهاب الاسلام عبد الرزّاق بن اخى نظام الملك ويعرف بابن

Digitized by Google

الفقيه الّا انّه لم تكن له منزلة ابن فخر الملك عند الناس فى علوّ المنزلة، فلمّا اتّصل به وفاة اخيه ندم على قتله لانّه كان يبلغ به من الاغراض والملك ما لا يبلغه بكثرة العساكر لميل الناس اليه ومحلّه عندهم، ثمّ انّ السلطان محمود ارسل الى عمّه سنجر شرف الدين انوشروان بن خالد وفخر الدين طغايرك بن اليزن[1] ومعهما الهدايا والتحف وبذل له النزول عن مازندران وحمل مايتىْ الف دينار كلّ سنة فوصلا اليه وابلغاه الرسالة فتجهّز ليسير الى الرىّ فاشار عليه شرف الدين انوشروان بترك القتال والحرب فكان جوابه فى ذلك انّ ولد اخى صبىٌّ وقد تحكّم عليه وزيره والحاجب علىٌّ، فلمّا سمع السلطان محمود بمسير عمّه نحوه ووصول الامير أُنر فى مقدّمته الى جرجان تقدّم الى الامير علىّ بن عمر وهو امير حاجبَ السلطان محمّد وبعده صار امير حاجب السلطان محمود بالمسير وضمن اليه جمعًا كثيرًا من العساكر والامرآء فاجتمعوا فى عشرة الاف فارس فساروا الى ان قاربوا مقدّمة سنجر فلقيها الامير أُنر فراسله الامير علىّ ابن عمر يعرّفه وصيّة السلطان محمّد بتعظيم سنجر والرجوع الى امره ونهيه والقبول منه وانّه ظنّ انّ سنجر يحفظ السلطنة على ولده السلطان محمود واخذ علينا بذلك العهود فليس لنا ان نخالفه وحيث جيّتم الى بلادنا لا نحتمل ذلك ولا نَقْصى عليه وقد علمتُ انّ معك خمسة الاف فارس فانا ارسل اليك اقلّ منهم لتعلم انّكم لا تقاومونا ولا تقوون بنا، فلمّا سمع الامير أُنر ذلك عاد عن جرجان ولحقه بعض عسكر السلطان محمود فاخذوا قطعة من سواده واسروا عدّة من اصحابه، وكان السلطان محمود قد وصل الى الرىّ وهو بها وعاد الامير علىّ بن عمر اليه فشكره على فعله واثنى عليه وعلى عسكره الذين معه، واشير على السلطان محمود بملازمة الرىّ والمقام

---

[1]) C. P. النمرن; Bodl. البزن.

Digitized by Google

بها وقيل انّ عساكر خراسان اذا علموا بمقامك فيها لا يفارقون حدودهم ولا يتعدّون ولايتهم، فلم يقبلْ ذلك وضجر مقام وسار الى جرجان ووصل السلطان محمود الاميرُ منكبرس من العراق فى عشرة الاف فارس والامير منصور بن صدقة اخو دُبَيْس والامرآء البكاجيّة وغيرهم وسار محمود الى همذان وتوفّى بها وزيره الرّبيب واستوزر ابا طالب السميرمىّ وبلغه وصول عمّه سنجر الى الرىّ فسار نحوه قاصدًا قتاله فالتقيا بالقرب من ساوة ثانى جمادى الاولى من السنة وكان عسكر السلطان محمود قد عرفوا المفازة لقلّة بين يدَىْ عسكر سنجر وهى ثمانية ايّام فسبقوهم الى الماء وملكوه عليهم وكان العسكر الخراسانىّ فى عشرين الفًا ومعهم ثمانية عشر فيلًا اسم كبيرها باذهو ومن الامرآء الكبار ولد الامير ابى الفضل صاحب سجستان وخوارزمشاه محمّد والامير أُنَر والامير قماج واتّصل به علآء الدولة كرشاسف بن فرامرز ابن كاكَوَيْه صاحب يزد وهو صهر السلطان محمّد وسنجر على اختهما وكان اخصّ الناس بالسلطان محمّد فلمّا تولّى السلطان محمود فتاخّر عنه فاقطع بلده لقراجة الساقى الذى صار صاحب بلاد فارس فسار حينيذ علآء الدولة الى سنجر وهو من ملوك الديلم وعرّف سنجرَ الاحوال والطريق الى قصد البلاد وما فعله الامرآء من اخْذ الاموال وما هم عليه من اختلاف الاهوآء وحسّن قصد البلاد، وكان عسكر السلطان محمود ثلاثين الفًا ومن الامرآء الكبار الامير علىّ بن عمر امير حاجب والامير منكبرس واتابكه غزغلى وبنو بُرسق وسُنقر البخارىّ وقراجة الساقى ومعه تسعماية جمل من السلاح واستهان عسكر محمود بعسكر عمّه بكثرتهم وشجاعتهم وكثرة خيلهم فلمّا التقوا ضعفت نفوس الخراسانيّة لما رأوا لهذا العسكر من القوّة والكثرة فانهزمت ميمنة سنجر وميسرته واختلط اصحابه واضطرب امرهم وساروا منهزمين لا يلوون على شىء ونُهب من اثقالهم شىء كثير وقتل اهل السواد كثيرًا منهم ووقف سنجر بين الفيلة فى جمع من اصحابه وبازآيه

Digitized by Google

السلطان محمود ومعه اتابكه غزغلى فالجأت سنجرَ الضرورة عند تعاظم الخطب عليه ان يقدّم الفيلة للحرب وكان من بقى معه قد اشاروا عليه بالهزيمة فقال امّا النصر او القتل وامّا الهزيمة فلا ، فلمّا تقدّمت الفيلة ورآها خيل محمود تراجعت باصحابها على اعقابها فاشفق سنجر على السلطان محمود فى تلك الحال وقال لاصحابه لا تُفزِعوا الصبىّ بحملات الفيلة فكفّوها عنهم وانهزم السلطان محمود ومن معه فى القلب وأُسر اتابكه غزغلى فكان يكاتبُ السلطانَ ويعده انّه يحمل اليه ابن اخيه فعاتبه على ذلك فاعتذر بالعجز فقتله وكان ظالمًا قد بالغ فى ظلم اهل همذان فعجّل الله عقوبته ، ولمّا تمّ النصر والظفر للسلطان سنجر ارسل من اعاد المنهزمين من اصحابه اليه ووصل الخبر الى بغداد فى عشرة ايّام فارسل الامير دُبَيْس بن صدقة الى المسترشد بالله فى الخطبة للسلطان سنجر فخُطب له فى السادس والعشرين من جمادى الاولى وقُطعت خطبة السلطان محمود ، وامّا السلطان محمود فانّه سار من الكسرة الى اصبهان ومعه وزيره ابو طالب السميرمىّ والامير علىّ بن عمر وقراجة وامّا سنجر فانّه سار الى همذان فرأى قلّة عسكره واجتماع العساكر على ابن اخيه فراسله فى الصلح وكانت والدته تشير عليه بذلك وتقول قد استوليتَ على غزنة واعمالها وما وراء النهر وملكتَ ما لا حدّ عليه وقرّرتَ الجميع على اصحابه فاجعل ولد اخيك كاحدهم ، وكانت والدة سنجر هى جدّة السلطان محمود فاجاب الى قولها ثم كثرت العساكر عند سنجر منهم البرسقىّ وكان عند الملك مسعود باذربيجان من حين خروجه عن بغداد الى هذه الغاية فقوى بهم ، فعاد الرسول وابلغه عن الامرآء الذين مع السلطان محمود انّهم لا يصالحونه حتّى يعود الى خراسان فلم يجبْ الى ذلك وسار من همذان الى كرج واعاد مراسلة السلطان محمود فى الصلح ووعده ان يجعله ولىّ عهده فاجاب الى ذلك واستقرّ الامر بينهما وتحالفا عليه وسار السلطان محمود الى

Digitized by Google

عمّه سنجر فى شعبان فنزل على جدّته والدة سنجر واكرمه عمّه وبالغ فى ذلك وحمل له السلطان محمود هدية عظيمة فقبلها ظاهرًا وردّها باطنًا ولم تقبلْ منه سوى خمسة افراس عربيّة وكتب السلطان سنجر الى ساير الاعمال التى بيده كخراسان وغزنة وما وراء النهر وغيرها من الولايات بان يخطب للسلطان محمود بعده وكتب الى بغداذ مثل ذلك واعاد عليه جميع ما اخذ من البلاد سوى الرىّ وقصد باخذها ان تكون له فى هذه الديار لئلّا يحدّث السلطان محمود نفسه بالخروج ☆

ذكر غزاة ايلغازى بلاد الفرنج

فى هذه السنة سار الفرنج من بلادهم الى نواحى حلب فلكوا بزاعة وغيرها واخربوا بلد حلب ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخاير ما يكفيها شهرًا واحدًا وخافهم اهلها خوفًا شديدًا ولو مكّنوا من القتال لم يبق بها احد لكنّهم منعوا من ذلك وصانعوا الفرنج اهل حلب على ان قاسموهم على املاكهم التى بباب حلب، فارسل اهل البلد الى بغداذ يستغيثون ويطلبون النجدة فلم يُغاثوا، وكان الامير ايلغازى صاحب حلب ببلد ماردين يجمع العساكر والمتطوّعة للغزاة فاجتمع عليه نحو عشرين الفًا وكان معه أُسامة بن المبارك ابن شبل الكلابىّ والامير طغان ارسلان بن المكر صاحب بدليس وارزن وسار بهم الى الشام عازمًا على قتال الفرنج، فلمّا علم الفرنج قوّة عزمهم على لقآيهم وكانوا ثلاثة الاف فارس وتسعة الاف راجل ساروا فنزلوا قريبًا من الاثارب بموضع يقال له تلّ عفرين بين جبال ليس لها طريقٌ الّا من ثلاث جهات وفى هذا الموضع قُتل شرف الدولة مُسلّم بن قريش وظنّ الفرنج انّ احدًا لا يسلك اليهم لضيق الطريق فاخلدوا الى المطاولة وكانت عادة لهم اذا رأُوا قوّة من المسلمين وراسلوا ايلغازى يقولون له لا تتعبْ نفسك بالمسير الينا فنحن واصلون اليك، فاعلم اصحابه بما قالوه واستشارهم فيما

Digitized by Google

يفعل فاشاروا بالركوب من وقته وقصدهم ففعل ذلك وسار اليهم ودخل الناس من الطرق الثلاثة ولم تعتقد الفرنج انّ احدًا يقدم عليهم لصعوبة المسلك اليهم فلم يشعروا الّا واوايل المسلمين قد غشيهم فحمل الفرنج حملة منكرة فولّوا منهزمين فلقوا باقى العسكر متتابعة فعادوا معهم وجرى بينهم حرب شديدة واحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم واخذهم السيف من ساير نواحيهم فلم يفلتْ منهم غير نفر يسير وقُتل الجميع وأُسروا وكان فى جملة الاسرى نيف وسبعين فارسًا من مقدّميهم وحُملوا الى حلب فبذلوا فى نفوسهم ثلاثماية الف دينار فلم يقبلْ منهم وغنم المسلمون منهم الغنايم الكثيرة وامّا سيرجال صاحب انطاكية فانّه قُتل وحُمل راسه وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الاوّل، فممّا مدح به ايلغازى فى هذه الوقعة قول العظيمىّ

قُلْ ما تشآء فقولك المقبولُ وعليك بَعد الخالق التَعْويلُ
واستَبْشَر القرآنُ حين نصرتَهُ وبكا بفقد[1] رجالِه الانجيلُ

ثمّ تجمّع من سلم من المعركة مع غيرهم فلقيهم ايلغازى ايضًا فهزمهم وفتح منهم حصن الاثارب وزردنا[2] وعاد الى حلب وقرّر امرها واصلح حالها ثمّ عبر الفرات الى ماردين ❁

ذكر وقعة اخرى مع الفرنج

فى هذه السنة سار جوسلين صاحب تلّ باشر فى جمع من الفرنج نحو ماينَىْ فارس من طبريّة فكبس طايفة من طّى يعرفون ببنى خالد فاخذهم واخذ غنايمهم وسالهم عن بقية قومهم من بنى ربيعة فاخبروه انّهم من وراء الحزن بوادى السلالة بين دمشق وطبريّة فقدّم جوسلين ماية وخمسين فارسًا من اصحابه وسار هو فى خمسين فارسًا على طريق آخر وواعدهم الصبح ليكبسوا بنى ربيعة فوصلهم الخبر بذلك فارادوا الرحيل فمنعهم اميرهم من بنى ربيعة وكانوا فى ماية

---

[1]) Cod. الفقد. [2]) Cod. ووردنا.

Digitized by Google

وخمسين فارسًا فوصلهم الماية وخمسون من الفرنج معتقدين انّ جوسلين قد سبقهم او سيدركهم فاضلّ الطريق وتساوت العدّتان فاقتتلوا وطعنت العرب خيولهم فجعلوا اكثرهم رجّالة وظهر من اميرهم شجاعة وحُسن تدبير وجودة رآى فقُتل من الفرنج سبعون وأُسر اثنا عشر من مقدّميهم بذل كلّ واحد فى فدآء نفسه مالًا جزيلًا وعدّة من الاسرى، وامّا جوسلين فانّه ضلّ فى الطريق وبلغه خبر الوقعة فسار الى طرابلس فجمع بها جمعًا واسْرَى الى عسقلان فاغار على بلدها فهزمه المسلمون هناك فعاد مفلولًا ☆

ذكر قتل منكوبرس

فى هذه السنة قُتل الامير منكوبرس الذى كان شحنة بغداذ وقد تقدّم حاله، وكان سبب قتله انّه لمّا انهزم مع السلطان محمود وعاد الى بغداذ نهب عدّة مواضع من طريق خراسان واراد دخول بغداذ فسيّر اليه دُبَيْس بن صدقة مَنْ منعه فعاد وقد استقرّ الصلح بين السلاطين سنجر ومحمود فقصد السلطانَ سنجر فدخل اليه ومعه سيف وكفن فقال له انا لا اواخذ احدًا وسلّمه الى السلطان محمود وقال هذا مملوكك فاصنَعْ به ما تريد فاخذه وكان فى نفسه منه غيظٌ شديد لاسباب منها انّه لمّا توفّى السلطان محمّد اخذ سرّيّته والدة الملك مسعود قهرًا قبل انقضآء عدّتها ومنها جراتُه عليه واستبداده بالامور دونه ومسيره الى شحنكيّة بغداذ والسلطان كارهٌ لذلك لكنّه لم يقدر على منعه ومنها ما فعله بالعراق من الظلم الى غير ذلك فقتله صبرًا واراح العباد والبلاد من شرّه ☆

ذكر قتل الامير علىّ بن عمر

فى هذه السنة ايضًا قُتل الامير علىّ بن عمر حاجب السلطان محمّد وكان قد صار اكبر امير مع السلطان محمود وانقادتْ العساكر له فحسده الامرآء وافسدوا حاله مع السلطان محمود وحسّنوا له قتله فعلم فهرب الى قلعة برجين وهى بين بروجرد وكرج وكان بها

Digitized by Google

اهله وماله وسار منها فى مايتَىْ فارس الى خوزستان وكانت بيد اقبورى بن برسق وابنى اخويه ارغلى بن يَلْبكى وهنْدُو بن زنكى فارسل اليهم واخذ عهودهم بامانه وحمايته، فلمّا سار اليهم ارسلوا عسكرًا منعوه من قصدهم فلقوه على ستّة فراسخ من تُسْتر فاقتتلوا فانهزم هو واصحابه فوقف به فرسه فانتقل الى غيره فتشبّث ذيله بسرجه الاوّل فازاله فعاود التعلّق فابطأ فادركوه واسروه وكاتبوا السلطانَ محمودًا فى امره فامرهم بقتله فقُتل وحُمل راسه اليه ☆

ذكر الفتنة بين المرابطين واهل قرطبة

فى هذه السنة وقيل سنة اربع عشرة كانت فتنة بين عسكر امير المسلمين علىّ بن يوسف وبين اهل قرطبة وسببها انّ امير المسلمين استعمل عليها ابا بكر يحيى بن روّاد فلمّا كان يوم الاضحى خرج الناس متفرّجين فمدّ عبدٌ من عبيد ابى بكر يده الى امراة فامسكها فاستغاثت بالمسلمين فاغاثوها فوقع بين العبيد واهل البلد فتنة عظيمة ودامت جميع النهار والحرب بينهم قايمة على ساق فادركهم الليل فتفرّقوا فوصل الخبر الى الامير ابى بكر فاجتمع اليه الفقهآء والاعيان فقالوا المصلحة ان تقتل واحدًا من العبيد الذين اثاروا الفتنة فانكر ذلك وغضب منه واصبح من الغد واظهر السلاح والعدد يريد قتال اهل البلد فركب الفقهآء والاعيان والشُبّان من اهل البلد وقاتلوه فهزموه وتحصّن بالقصر فحصروه وتسلّقوا اليه فهرب منهم بعد مشقّة وتعب فنهبوا القصر واحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا اموالهم واخرجوهم من البلد على اقبح صورة واتّصل الخبر بامير المسلمين فاكره ذلك واستعظمه وجمع العساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم فاجتمع له منهم جمع عظيم فعبر اليهم سنة خمس عشرة وخسمماية وحصر مدينة قرطبة فقاتله اهلها قتال من يريد يحمى دمه وحريمه وماله فلمّا رأى امير المسلمين شدّة قتالهم دخل السُفرآء بينهم وسعوا فى الصلح فاجابهم الى ذلك على ان يغرم اهل

قرطبة المرابطين ما نهبوه من اموالهم واستقرّت القاعدة على ذلك وعاد عن قتالهم ☆

ذكر ملك علىّ بن سَكْمان البصرة

فى هذه السنة استولى علىّ بن سكمان على البصرة وسبب ذلك انّ السلطان محمّد كان قد اقطع البصرة الامير آقسنقر البخارىّ فاستخلف بها نايبًا يعرف بسُنقر البيانىّ فاحسن السيرة الى حدّ انّ المآء بالبصرة ملْح فاقام سفنًا وجرارًا للضعفآء والسابلة تحمل لهم المآء العذب، فلمّا توفّى السلطان محمّد عزم هذا الامير سنقر على القبض على امير اسمه غزغلى مقدّم الاتراك الاسماعيليّة وهو مذكور وحجّ بالناس على البصرة عدّة سنين وعلى امير آخر اسمه سُنقر الب وهو مقدّم الاتراك البُلدقيّة فاجتمعا عليه وقبضاه وقيّداه واخذا القلعة وما وجداه له ثمّ انّ سُنقر الب اراد قتله فمنعه غزغلى فلم يقبَلْ منه فلمّا قتله وثب غزغلى على سُنقر الب فقتله ونادى فى الناس بالسكون، واطمأنّوا وكان امير الحاجّ من البصرة هذه السنة امير اسمه علىّ بن سكمان احد الامرآء البلدقيّة وكان فى نفس غزغلى عليه حقد حيث تمّ الحجّ على يده ولانّه خاف ان ياخذ بثار سُنقر الب اذ هو مقدّم البلدقيّة فارسل غزغلى الى عرب البرّيّة يامرهم بقصد الحجّاج ونَهْبهم فطمعوا بذلك وقصدوا الحجّاج فقاتلوهم وحماهم ابن سكمان وابلى بلآء حسنًا وجعل يقاتلهم وهو ساير نحو البصرة الى ان بقى بينه وبين البصرة يومان فارسل اليه غزغلى يمنعه من قصد البصرة فقصد العونى اسفل دجلة هذا والعرب يقاتلونه فلمّا وصل الى العونىَ حمل على العرب حملة صادقة فهزمهم وسار غزغلى الى علىّ بن سكمان فى عدد كثير وكان علىّ فى قلّة فتحاربا واقتتلت الطايفتان فاصابت فرس غزغلى نشّابة فسقط وقُتل وسار علىّ الى البصرة فدخلها وملك القلعة واقرّ عمّال آقسنقر البخارىّ ونوّابه وكاتَبَهُ بالطاعة وكان عند السلطان وسأله ان يكون نايبًا عنه بالبصرة فلم

بجبه آقسنقر الى ذلك فطرد حينيذ نوّاب آقسنقر واستولى على البلد وتصرّف تصرُّف الاصحاب مستبدًّا واستقرّ فيه واحسن السيرة الى سنة اربع عشرة فسيّر السلطان محمود الامير آقسنقر البخارىّ فى عسكر الى البصرة فاخذها من علىّ بن سكمان ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة امر السلطان سنجر باعادة مجاهد الدين بهروز شحنكيّة العراق وكان بها نايب دبيس بن صدقة فعُزل عنها، وفيها فى ربيع الاوّل توفّى الوزير ربيب الدولة وزير السلطان محمود ووزر بعده الكمال السُميرمىّ وكان ولد ربيب الدولة وزير المسترشد فعُزل واستعمل بعده عميد الدولة ابو علىّ بن صدقة ولقّب جلال الدين وهذا الوزير وهو عمّ الوزير جلال الدين ابى الرضا صدقة الذى وزر للراشد والاتبك زنكى على ما نذكره، وفيها ظهر قبر ابراهيم الخليل وقبور ولديْه اسحق ويعقوب عم بالقرب من البيت المقدّس وراَى كثير من الناس لم تبْلَ اجسادهم وعندهم فى المغارة قناديل من ذهب وفضّة هكذا ذكره حمزة بن اسد التميمىّ فى تاريخه والله اعلم، وفيها فى المحرّم توفّى قاضى القضاة ابو الحسن علىّ بن محمّد الدامغانىّ ومولده فى رجب سنة تسع واربعين واربعماية وولى القضاء بباب الطاق من بغداذ الى الموصل وله من العمر ستّ وعشرون سنة وهذا شىء لم يكن لغيره ولمّا توفّى ولى قضاء القضاة الاكمل ابو القاسم علىّ بن ابى طالب الحسين بن محمّد الزينبىّ وخُلع عليه ثالث صفر، وفيها هُدم تاج الخليفة على دجلة للخوف من انهدامه وهذا التاج بناه امير المومنين المكتفى بعد سنة تسعين ومايتين، وفيها تاخّر الحجّ فاستغاث الناس وارادوا كسر المنبر بجامع القصر فارسل الخليفة الى دُبَيْس بن صدقة ليساعد الامير نظر على تسيير الحجّاج فاجاب الى ذلك وكان خروجهم من بغداذ ثانى عشر ذى القعدة وتوالت عليهم الامطار الى الكوفة، وفيها ارسل دبيس بن صدقة القاضى

Digitized by Google

ابا جعفر عبد الواحد بن احمد الثقفيّ قاضى الكوفة الى ايلغازى ابن ارتق بماردين يخطب ابنته فزوّجها منه ايلغازى وحملها الثقفيّ معه الى الحلّة واجتاز بالموصل، وفيها فى جمادى الاولى توفّى ابو الوفا علىّ بن عقيل بن محمّد بن عقيل شيخ الحنابلة فى وقته ببغداذ وكان حسن المناظرة سريع الخاطر وكان قد اشتغل بمذهب المعتزلة فى حداثته على ابى الوليد فاراد الحنابلة قتله فاستجار بباب المراتب عدّة سنين ثم اظهر التوبة حتّى تمكّن من الظهور وله مصنّفات من جملتها كتاب الفنون ❁

ثم دخلت سنة اربع عشرة وخمسماية، سنة ٥١٤

ذكر عصيان الملك مسعود على اخيه السلطان محمود والحرب بينهما

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل كان المصاف بين السلطان محمود واخيه الملك مسعود ومسعود حينيذ له الموصل واذربيجان، وكان سبب ذلك انّ دُبَيْس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك اتابك مسعود يحثّه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة وكان غرضه ان يختلفوا فينال من الجاه وعلوّ المنزلة ما ناله ابوه باختلاف السلاطين بركيارق ومحمّد ابنَىْ ملكشاه على ما ذكرناه، وكان قسيم الدولة البرسقىّ اتابك الملك مسعود قد فارق شحنكيّة بغداذ وقد اقطعه مسعود مراغة مضافة الى الرحبة وبينه وبين دبيس عداوة محكّمة فكاتب دبيس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسقىّ وينسبه الى الميل الى السلطان محمود وبذل له مالًا كثيرًا على قبضه فعلم البرسقىّ ذلك ففارقهم الى السلطان محمود فاكرمه واعلى محلّه وزاد فى تقديمه، واتّصل الاستاذ ابو اسماعيل الحسين بن علىّ الاصبهانىّ الطغرآئىّ بالملك مسعود فكان ولده ابو المؤيّد محمّد بن ابى اسماعيل يكتب الطغرآء مع الملك فلمّا وصل والده استوزره مسعود بعد ان عزل ابا علىّ بن عمّار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة بباب خوىّ فحسّن ما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان

Digitized by Google

محمود والخروج عن طاعته وظهر ما تم عليه من ذلك فبلغ السلطان محمود الخبر فكتب اليهم يخوّفهم ان خالفوه ويعدهم الاحسان ان اقاموا على طاعته وموافقته فلم يصغوا الى قوله واظهروا ما كانوا عليه وما يُسرّونه وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النُوَب الخمس وكان ذلك على تفرّق من عساكر السلطان محمود فقوى طمعهم واسرعوا السير اليه ليلقوه وهو مُخفّف من العساكر، فاجتمع اليه خمسة عشر الفًا فسار ايضًا اليهم فالتقوا عند عقبة اسداباذ منتصف ربيع الاوّل واقتتلوا من بكرة الى آخر النهار وكان البرسقىّ فى مقدّمة السلطان محمود وابلى يومئذ بلآء حسنًا فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار وأُسر منهم جماعة كثيرة من اعيانهم ومقدّميهم وأُسر الاستاذ ابو اسماعيل وزير مسعود فامر السلطان بقتله وقال قد ثبت عندى فساد دينه واعتقاده فكانت وزارته سنةً وشهرًا وقد جاوز ستّين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل الى صنعة الكيميآء وله فيها تصانيف قد ضيّعت من الناس اصولًا لا تُحصى، واما الملك مسعود فانّه لمّا انهزم اصحابه وتفرّقوا قصد جبلًا بينه وبين الوقعة اثنا عشر فرسخًا فاختفى فيه ومعه غلمان صغار فارسل ركابيّه عثمان الى اخيه يطلب له الامان فسار الى السلطان محمود واعلمه حال اخيه مسعود فرقّ له وبذل له الامان وامر آقسنقر البرسقىّ بالمسير اليه وتطييب قلبه واعلامه بعفوه عنه واحضاره، فكان مسعود بعد ان ارسل يطلب الامان قد وصل بعض الامرآء اليه وحسّن له اللحاق بالموصل وكانت له ومعها اذربيجان واشار عليه بمكاتبة دبيس بن صدقة ليجتمع به ويكثر جمعه ويعاود طلب السلطنة فسار معه من مكانه ووصل البرسقىّ فلم يره فأُخبر بمسيره فسار فى اثره وعزم على طلبه ولو الى الموصل وجدّ فى السير فادركه على ثلاثين فرسخًا من مكانه ذلك وعرّفه عفو اخيه عنه وضمن له ما اراد واعاده الى العسكر فامر السلطان محمود العساكر

Digitized by Google

باستقباله وتعظيمه ففعلوا ذلك وامر السلطان ان ينزل عند والدته وجلس له واحضره واعتنقا وبكيا وانعطف عليه محمود ووفا له بما بذله وخلطه بنفسه فى كلّ افعاله فعُدّ ذلك من مكارم محمود وكانت الخطبة بالسلطنة لمسعود باذربيجان وبلد الموصل والجزيرة ثمانية وعشرين يومًا، وامّا اتابكه جيوش بك فانّه سار الى عقبة اسداباذ وانتظر الملك مسعود فلم يره وانتظره بمكان اخر فلم يصل اليه فلمّا ايس منه سار الى الموصل ونزل بظاهرها وجمع الغلّات من السواد اليها واجتمع اليه عسكره فلمّا سمع بما فعله السلطان مع اخيه وانّه عنده علم انّه لا مقام له على هذا الحال فسار كانّه يريد الصيد فوصل الى الزاب وقال لمن معه انّنى قد عزمتُ على قصد السلطان محمود وأُخاطِر بنفسى فسار اليه فوصل وهو بهمذان ودخل اليه فطيّب قلبه وآمنه واحسن اليه، وامّا دُبَيْس فانّه كان بالعراق فلمّا بلغه خبر انهزام الملك مسعود نهب البلاد واخربها وفعل فيها الافاعيل القبيحة الى ان اتاه رسول السلطان محمود وطيّب قلبه فلم يلتفت ۞

ذكر حال دُبَيْس وما كان منه

لمّا كان منه ببغداذ وسوادها من النهب والقتل والفساد ما لم يجرِ مثله ارسل اليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه ويامره بالكفّ فلم يفعل فارسل اليه السلطان وطيّب قلبه وامره بمنع اصحابه عن الفساد فلم يقبل وسار بنفسه الى بغداذ وضرب سرادقه بازآء دار الخلافة واظهر الصغاين لله فى نفسه وكيف طيف براس ابيه وتهدّد الخليفة وقال انّك ارسلتَ تستدعى السلطان فان اعدتموه والّا فعلتُ وصنعتُ، فأُعيد جواب رسالته انّ عود السلطان وقد سار عن همذان غير ممكنٍ ولكنّا نُصلح حالك معه، وكان الرسول شيخ الشيوخ اسماعيل فكفّ على ان تسيّر الرسل فى الاتّفاق بينه وبين السلطان وعاد عن بغداذ فى رجب ووصل السلطان فى رجب الى بغداذ فارسل دبيس زوجته ابنة عميد الدولة بن جهير

Digitized by Google

اليه ومعها مال كثير وهدية نفيسة وسأل الصفح عنه فأجيب الى ذلك على قاعدة امتنع منها ولزم لجاجه ونهب جشيرًا للسلطان، فسار السلطان عن بغداذ فى شوّال الى قصد دبيس بالحلّة واستصحب الف سفينة ليعبر فيها فلمّا علم دبيس مسير السلطان ارسل يطلب الامان فآمنه وكان قصده ان يغالطه ليتجهّز فارسل نساءه الى البطيحة واخذ امواله وسار عن الحلّة بعد ان نهبها الى ايلغازى ملتجيًا اليه ووصل السلطان الى الحلّة فلم يرَ احدًا فبات بها ليلة واحدة وعاد، واقام دبيس عند ايلغازى وتردّد معه ثم انّه ارسل اخاه منصور فى جيش من قلعة جعبر الى العراق فنظر الحلّة والكوفة وانحدر الى البصرة وارسل الى يرنقش الزكوىّ يسأله ان يُصلح حاله مع السلطان فلم يتمّ امره فارسل الى اخيه دبيس يعرّفه ذلك ويدعوه الى العراق فسار من قلعة جعبر الى الحلّة سنة خمس عشرة فدخلها وملكها وارسل الى الخليفة والسلطان يعتذر ويعد من نفسه الطاعة فلم يُجَبْ الى ذلك وسُيّرت اليه العساكر فلمّا قاربوه فارق الحلّة ودخل الى الازبر (ا)[1] وهو نهر سِنْداد ووصل العسكر اليها وهى فارغة قد اجلى اهلها عنها وليس بها اقامة فكانت الميرة تنقل من بغداذ وكان مقدّم العسكر سعد الدولة يرنقش الزكوىّ فترك بالحلّة خمسماية فارس وبالكوفة جماعة اخرى تحفظ الطريق على دبيس وارسل الى عسكر واسط يحفظ طريق البطيحة ففعلوا ذلك وعبر عسكر السلطان الى دبيس فبقى بين الطايفتَيْن نهر يخاض فيه مواضع فتراسل يرنقش ودبيس واتّفقا على ان يرسل دبيس اخاه منصورًا رهينة ويلازم الطاعة ففعل وعاد العسكر الى بغداذ سنة ستّ عشرة ۞

ذكر خروج الكُرْج الى بلاد الاسلام وهلك تفليس

فى هذه السنة خرج الكُرج وهم الخُرز[2] الى بلاد الاسلام وكانوا

---

[1]) Bodl.; C. P. sinè punctis. [2]) In marg. الخزر.

Digitized by Google

قديمًا يغيرون فامتنعوا ايّام السلطان ملكشاه الى آخر ايّام السلطان محمّد فلمّا كان هذه السنة خرجوا ومعهم قفجاق وغيرهم من الامم المجاورة لهم فنكاتب الامرآء المجاورون لبلادهم واجتمعوا منهم الامير ايلغازى ودُبَيْس بن صدقة وكان عنده والملك طغرل بن محمّد واتابكه كنتغدى وكان لطغرل بلد اَرّان ونقجوان الى أَرَس فاجتمعوا وساروا الى الكرج فلمّا قاربوا تفليس وكان المسلمون فى عسكر كثير يبلغون [ثلاثين] الفًا فالتقوا واصطفّ الطايفتان للقتال فخرج من القفجاق مايتا رجل فظنّ المسلمون انّهم مستامنون فلم يحترزوا منهم ودخلوا بينهم ورمَوْا بالنشّاب فاضطرب صفّ المسلمين فظنّ مَن بَعُد انّها هزيمة فانهزموا وتبع الناس بعضهم بعضًا منهزمين ولشدّة الزحام صدم بعضهم بعضًا فقُتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكفّار عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون فقتل اكثرهم واسروا اربعة الاف رجل ونجا الملك طغرل وايلغازى ودبيس وعاد الكُرج فنهبوا بلاد الاسلام وحصروا مدينة تفليس واشتدّ قتالهم لمن بها وعظم الامر وتفاقم الخطب على اهلها ودام الحصار الى سنة خمس عشرة فملكوها عنوةً وكان اهلها لمّا اشرفوا على الهلاك قد ارسلوا قاضيها وخطيبها الى الكُرج فى طلب الامان فلم تُصْغِ الكُرج اليهما فاخرقوا بهما ودخلوا البلد قهرًا وغلبةً واستباحوه ونهبوه ووصل المستنفرون منهم الى بغداد مستصرخين ومستنصرين سنة ستّ عشرة فبلغهم انّ السلطان محمودًا بهمذان فقصدوه واستغاثوا به فسار الى اذربيجان واقام بمدينة تبريز شهر رمضان وانفذ عسكرًا الى الكرج وسيرد ذكر ما كان منهم ان شآء الله تعالى ۞

ذكر غزوات ايلغازى هذه السنة

فى هذه السنة ارسل المسترشد بالله خلعًا مع سديد الدولة ابن الانبارىّ لنجم الدين ايلغازى وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج وبامره بابعاد دبيس عنه وسار ابو علىّ بن عمّار الذى كان

Digitized by Google

صاحب طرابلس مع ابن الانبارىّ الى ايلغازى ليقيم عنده يعبر الاوقات بما ينقم به عليه فاعتذر بابعاد[1] دبيس ووعد به ثم سار الى الفرنج وكان قد جمع لهم جمعًا فالتقوا بموضع اسمه ذات البقل[2] من اعمال حلب فاقتتلوا واشتدّ القتال وكان الظفر له، ثم اجتمع ايلغازى واتابك طغتكين صاحب دمشق وحصروا الفرنج فى معرّة قنسرين يومًا وليلةً ثم اشار اتابك طغتكين بالافراج عنهم، كيلا يحملهم الخوف على ان يستقتلوا ويخرجوا الى المسلمين فربّما ظفروا وكان اكثر خوفه من دبر خيل التركمان وجودة خيل الفرنج فافرج لهم ايلغازى فساروا عن مكانهم وتخلّصوا وكان ايلغازى لا يطيل المقام فى بلد الفرنج لانّه كان يجمع التركمان للطمع فيحضر احدهم ومعه جراب فيه دقيق وشاة ويَعُدّ الساعات لغنيمة يتعجّلها ويعود فاذا طال مقامهم تفرّقوا ولم يكن له من الاموال ما يفرّقها فيهم ✿

ذكر ابتدآء امر محمّد بن تومرت وعبد المومن وملكهما

فى هذه السنة كان ابتدآء امر المهدى ابى عبد الله محمّد بن عبد الله بن تومرت العلوىّ الحسنىّ وقبيلته من المصامدة تعرف بهرغة فى جبل السوس من بلاد المغرب نزلوا به لمّا فتحه المسلمون مع موسى بن نُصير ونذكر امره وامر عبد المومن هذه السنة الى ان فرغ من ملك المغرب لنتبع بعض الحادثة بعضًا، وكان ابن تومرت قد رحل فى شبيبته الى بلاد الشرق فى طلب العلم وكان فقيهًا فاضلًا عالمًا بالشريعة حافظًا للحديث غارمًا باصولىّ الدين والفقه متحقّقًا بعلم العربيّة وكان ورعًا ناسكًا ووصل فى سفره الى العراق واجتمع بالغزالىّ والكيا واجتمع بابى بكر الطرطوشىّ بالاسكندريّة وقيل انّه جرى له حديث مع الغزالىّ فيما فعله بالمغرب من التملّك فقال له الغزالىّ انّ هذا لا يتمشّى فى هذه البلاد ولا يمكن وقوعه

---

[1]) Bodl. عن ابعاده. [2]) C. P. النفل; Bodl. ذانبث البقل.

Digitized by Google

لامثالنا، كذا قال بعض مورّخى المغرب والصحيح انّه لم يجتمع به، فحجّ من هناك وعاد الى المغرب ولمّا ركب البحر من الاسكندريّة مغربًا غيّر المنكر فى المركب والزم من به باقامة الصلوة وقرآة القرآن حتّى انتهى الى المهديّة وسلطانها حينيذ يحيى بن تميم سنة خمس وخمسماية فنزل بمسجد قبلىّ مسجد السبت وليس له سوى ركوة وعصًا وتسامع به اهل البلد فقصدوه يقراون عليه انواع العلوم وكان اذا مرّ به منكرٌ غيّره وازاله فلمّا كثر ذلك منه احضره الامير يحيى مع جماعة من الفقهآء فلمّا راى سمتَه وسمع كلامه اكرمه واحترمه وسأله الدعآء، ورحل عن المدينة واقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدّة وسار الى بجاية ففعل فيها مثل ذلك فأُخرج منها الى قرية بالقرب منها اسمها ملالة[1] فلقيه بها عبد المومن بن علىّ فرأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرّس فيه التقدّم والقيام بالامر فسأله عن اسمه وقبيلته فاخبره انّه من قيس عيلان ثمّ من بنى سُلَيْم فقال ابن تومَرت هذا الذى بشّر به النبىّ صلعم حين قال انّ الله ينصر هذا الدين فى آخر الزمان برجل من قيس فقيل من اىّ قيس فقال من بنى سليم فاستبشر بعبد المومن وسُرّ بلقآيه، وكان مولد عبد المومن فى مدينة تاجرة من اعمال تلمسان وهو من عايذ قبيل من كومرة نزلوا بذلك الاقليم سنة ثمانين ومايةٍ، ولم يزل المهدى ملازمًا للامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى طريقه الى ان وصل الى مرّاكش دار مملكة امير المسلمين يوسف بن علىّ بن تاشفين فرأى فيها من المنكرات اكثر ممّا عاينه فى طريقه فزاد فى امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر اتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما هو فى بعض الايّام فى طريقه اذ رأى اخت امير المسلمين فى موكبها ومعها من الجوارى الحسان عدّة كثيرة

---

[1]) Cod. ملاية.

Digitized by Google

وهنّ مُسْفِرات وكانت هذه عادة الملثّمين يسفر نساؤهم وجوههنّ ويتلثّم الرجال فحين رأى النساء كذلك انكر عليهنّ وامرهنّ بستر وجوههنّ وضرب هو واصحابه دوابهنّ فسقطت اخت امير المسلمين عن دابّتها فرُفع امره الى امير المسلمين علىّ بن يوسف فاحضره واحضر الفقهاء ليناظروه فاخذ يعظه ويخوّفه فبكى امير المسلمين وامر ان يناظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوّة ادلّته فى الذى فعله ، وكان عند امير المسلمين بعض وزرآيه يقال له مالك بن وهيب فقال يا امير المسلمين انّ هذا والله لا يريد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر انّما يريد اثارة فتنة والغلبة على بعض النواحى فاقتله وقلّدنى دمه ، فلم يفعل ذلك فقال اذ لم تقتله فاحبسه وخلّده السجن والّا اثار شرًّا لا يمكن تلافيه ، فاراد حبسه فمنعه رجل من اكابر الملثّمين يسمّى بيان بن عثمان فامر باخراجه من مرّاكش فسار الى اغمات ولحق بالجبل فسار فيه حتّى التحق بالسوس الذى فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة اربع عشرة فاتوه واجتمعوا حوله وتسامع به اهل تلك النواحى فوفدوا عليه وحضر اعيانهم بين يدَيْه وجعل يعظهم ويذكّرهم بايّام الله ويذكر لهم شرايع الاسلام وما غُيّر منها وما حدث من الظلم والفساد وانّه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومَنْعهم عمّا هم فيه فاقام على ذلك نحو سنة وتابعه هرغة قبيلته وسمّى اتباعه الموحّدين واعلمهم انّ النبىّ صلّعم بشّر بالمهدى الذى يملأ الارض عدلًا وانّ مكانه الذى يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال احدهم عبد المومن فقالوا لا يوجد هذا الّا فيك فانت المهدى فبايعوه على ذلك ، فانتهى خبره الى امير المسلمين فجهّز جيشًا من اصحابه وسيّرهم اليه فلمّا قربوا من الجبل الذى هو فيه قال لاصحابه انّ هولآء يريدوننى واخاف عليكم منهم فالرآى ان اخرج بنفسى الى غير هذه البلاد لتسلموا انتم ، فقال له ابن

توفيان[1] من مشايخ هرغة هل تخاف شيئًا من السمآء فقال لا بل من السمآء تنصرون فقال ابن توفيان[2] فلياتنا كلّ مَن فى الارض، ووافقه جميع قبيلته فقال المهدى ابشروا بالنصر والظفر بهذه الشرذمة وبعد قليل تستاصلون دولتهم وترثون ارضهم، فنزلوا من الجبل ولقوا جيش امير المسلمين فهزموهم واخذوا اسلابهم وقوى ظنّهم فى صدق المهدى حيث ظفروا كما ذكر لهم واقبلت اليه افواج القبايل من الجلل الّتى حوله شرقًا وغربًا وبايعوه واطاعه قبيلة هنتاتة وهى من اقوى القبايل فاقبل عليهم واطمأنّ اليهم واتاه رسل اهل تينملل[3] بطاعتهم وطلبوه اليهم فتوجّه الى جبل تينملل واستوطنه والّف لهم كتابًا فى التوحيد وكتابًا فى العقيدة ونهج لهم طريق الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن وهو يحرّضهم على قتال عدوّهم واخراج الاشرار من بين اظهرهم واقام بتينملل وبنا له مسجدًا خارج المدينة فكان يصلّى فيه الصلوات هو وجمع ممّن معه عنده ويدخل البلد بعد العشآء الآخرة فلمّا رأى كثرة اهل الجبل وحصانة المدينة خاف ان يرجعوا عنه فامرهم ان يحصروا بغير سلاح ففعلوا ذلك عدّة ايّام ثمّ انّه امر اصحابه ان يقتلوهم فخرجوا عليهم وهم غارّون فقتلوهم فى ذلك المسجد ثمّ دخل المدينة فقتل فيها واكثر وسبا الحريم ونهب الاموال فكان عدّة القتلى خمسة عشر الفًا وقسّم المساكن والارض بين اصحابه وبنا على المدينة سورًا وقلعة على راس جبل عالٍ، وفى جبل تينملل انهار جارية واشجار وزروع والطريق اليه صعب فلا جبل احصن منه وقيل انّه لمّا خاف اهل تينملل نظر فرأى كثيرًا من اولادهم شُقرًا زُرقًا والذى يغلب على الابآء السُمرة وكان لامير المسلمين عدّة كثيرة من المماليك الفرنج والروم ويغلب على الوانهم الشُقرة وكانوا يصعدون الجبل فى

---

[1]) C. P. توعمان; Bodl. توفيان. [2]) Bodl. نوفمان. [3]) In Cod. ubique sine punctis.

Digitized by Google

كلّ عام مرّة وياخذون مالهم فيه من الاموال المقرّرة لهم من جهة السلطان فكانوا يسكنون بيوت اهله ويخرجون اصحابها منها فلمّا رأى المهدى اولادهم سألهم ما لى اراكم سُمر الالوان وارى اولادكم شُقرا زرقا، فاخبروه خبرهم مع مماليك امير المسلمين فقبّح الصبر على هذا وازرى عليهم وعظم الامر عندهم فقالوا له فكيف للحيلة فى الخلاص منهم وليس لنا بهم قوّة، فقال اذا حضروا عندكم فى الوقت المعتاد وتفرّقوا فى مساكنكم فليقمْ كلّ رجل منكم الى نزيله فيلقتلْه واحفظوا جبلكم فانّه لا يرام ولا يُقْدَر عليه، فصبروا حتّى حضر اوليك العبيد فقتلوهم على ما قرّر لهم المهدى فلمّا فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من امير المسلمين فامتنعوا فى الجبل وسدّوا ما فيه من طريق يُسْلَك اليهم فقويت نفس المهدى بذلك، ثمّ انّ امير المسلمين ارسل اليهم جيشًا قويًا فحصروهم فى الجبل وضيّقوا عليهم ومنعوا عنهم الميرة فقلّتْ عند اصحاب المهدى الاقواتُ حتّى صار الخبز معدومًا عندهم وكان يطبخ لهم كلّ يوم من الحسا ما يكفيهم فكان قوت كلّ واحد منهم ان يغمسَ يده فى ذلك الحسا ويخرجها فما علق عليها قنع به ذلك اليوم فاجتمع اعيان اهل تينملل وارادوا اصلاح الحال مع امير المسلمين فبلغ الخبر بذلك المهدى بن تومرت وكان معه انسان يقال له ابو عبد الله الونشريشىّ[1] يظهر البله وعدم المعرفة بشىء من القرآن والعلم وبُزاقه يجرى على صدره وهو كانّه معتوه ومع هذا فالمهدى يقرّبه ويكرمه ويقول انّ لله سرًّا فى هذا الرجل سوف يظهر، وكان الونشريشىّ يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم فى السرّ بحيث لا يعلم احد ذلك منه فلمّا كان سنة تسع عشرة وخاف المهدى من اهل الجبل خرج يومًا لصلوة الصُبح فرأى الى جانب محرابه انسانًا حسن الثياب طيّب الريح فاظهر انّه لا

---

[1]) Cod. sine punctis.

Digitized by Google

يعرفه وقال مَن هذا فقال انا ابو عبد الله الونشريشىّ فقال له المهدى انّ امرك لعجبٌ ثم صلّى فلمّا فرغ من صلوته نادى فى الناس فحضروا فقال انّ هذا الرجل يزعم انّه الونشريشىّ فانظروه وحقّقوا امره، فلمّا اضاء النهر عرفوه فقال له المهدى ما قصّتك قال انّى اتانى الليلة مالك من السماء فغسل قلبى وعلّمنى الله القرآن والموطّأ وغيره من العلوم والاحاديث، فبكى المهدى بحضرة الناس ثم قال له نحن نمتحنك فقال افعلْ وابتدأ يقرأ القرآن قرأة حسنة من اىّ موضع سُئل وكذلك الموطّأ وغيره من كتب الفقه والاصول فعجب الناس من ذلك واستعظموه، ثم قال لهم انّ الله تعالى قد اعطانى نورًا اعرف به اهل الجنّة من اهل النار وامركم ان تقتلوا اهل النار وتتركوا اهل الجنّة وقد انزل الله تعالى ملايكة الى البيْر التى فى المكان الفلانى يشهدون بصدقى، فسار المهدى والناس معه وهم يبكون الى تلك البيْر وصلّى المهدى عند رأسها وقال يا ملايكة الله انّ ابا عبد الله الونشريشىّ قد زعم كيتَ وكيتَ فقال مَن بها صدق وكان قد وضع فيها رجالًا يشهدون بذلك فلمّا قيل ذلك من البيْر قال المهدى انّ هذه مطهّرة مقدّسة قد نزل اليها الملايكة والمصلحة ان تُطمّ ليْلّا يقع فيها نجاسة او ما لا يجوز فالقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمّها ثم نادى فى اهل الجبل بالحضور الى ذلك المكان فحضروا للتمثيز فكان الونشريشىّ يعمد الى الرجل الذى يخاف ناحيته فيقول هذا من اهل النار فيلقى من الجبل مقتولًا والى الشاب الغرّ ومن لا يخشى فيقول هذا من اهل الجنّة فيُترْك على يمينه فكان عدّة القتلى سبعين الفًا، فلمّا فرغ من ذلك أمن على نفسه واصحابه واستقام امره هكذا سمعتُ جماعة من فضلآء المغاربة يذكرون فى التمثيز وسمعتُ منهم من يقول انّ ابن تومرت لمّا رأى كثرة اهل الشرّ والفساد فى اهل الجبل احضر شيوخ القبايل وقال لهم انّكم لا يصحّ لكم دين ولا يقوى الّا بامر بالمعروف والنهى عن المنكر

واخراج المفسد من بينكم فابحثوا عن كلّ مَن عندكم من اهل الشرّ والفساد فانهوهم عن ذلك فان انتهوا والّا فاكتبوا اسمآءهم وارفعوها الىّ لانظر فى امرهم، ففعلوا ذلك وكتبوا له اسمآءهم من كلّ قبيلة ثمّ امرهم بذلك مرّة ثانية وثالثة ثمّ جمع المكتوبات فاخذ منها ما تكرّر من الاسمآء فاثبتها عنده ثمّ جمع الناس قاطبةً ورفع الاسمآء الّتى كتبها ودفعها الى الونشريشىّ المعروف بالبشير وامره ان يعرض القبايل ويجعل اوليك المفسدين فى جهة الشمال ومن عداهم من جهة اليمين ففعل ذلك وامر ان يكتف مَن على شمال الونشريشىّ فكتفوا وقال انّ هولآء اشقيآء قد وجب قتلهم وامر كلّ قبيلة ان يقتلوا اشقيآءهم فقتلوا عن آخرهم فكان يوم التمثيز، ولمّا فرغ ابن تومرت من التمثيز رأى اصحاب الباقين على نيّات صادقة وقلوب متّفقة على طاعته فجهّز منهم جيشًا وسيّرهم الى جبال اغمات وبها جمع من المرابطين فقاتلوهم فانهزم اصحاب ابن تومرت وكان اميرهم ابو عبد الله الونشريشىّ وقتل منهم كثير وجُرح عمر الهنتاتىّ[1] وهو من اكبر اصحابه وسكن حسّه ونبضه فقالوا مات فقال الونشريشىّ امّا انّه لم يُمتْ ولا يموت حتّى يملك البلاد، فبعد ساعة فتح عينَيْه وعادت قوّته اليه فافتتنوا به وعادوا منهزمين الى ابن تومرت فوعظهم وشكرهم على صبرهم ثمّ لم يزل بعدها يُرسل السرايا فى اطراف بلاد المسلمين فاذا راوا عسكرًا تعلّقوا بالجبل فامنوا، وكان المهدى قد رتّب اصحابه مراتبَ فالاولى يسمّون ايت عشرة يعنى اهل عشرة واوّلهم عبد المومن ثمّ ابو حفص الهنتاتىّ وغيرهما وهم اشرف اصحابه واهل الثقة عنده والسابقون الى متابعته والثانية ايت خمسين يعنى اهل خمسين وهم دون تلك الطبقة وهم جماعة من روسآء القبايل والثالثة ايت سبعين يعنى اهل سبعين وهم دون الّتى قبلها وسمّى عامّة

---

[1]) Cod. همادى.

Digitized by Google

اصحابه والداخلين فى طاعته موحّدين فاذا ذُكر الموحّدون فى اخبارهم فانّما يعنى اصحابه واصحاب عبد المومن بعده، ولم يزل امر ابن تومرت يعلو الى سنة اربع وعشرين فجهّز المهدى جيشًا كثيفًا يبلغون اربعين الفًا اكثرهم رجّالة وجعل عليهم الونشريشىّ وسيّر معهم عبدَ المومن فنزلوا وساروا الى مرّاكش فحصروها وضيّقوا عليها وبها امير المسلمين علىّ بن يوسف فبقى الحصار عليها عشرين يومًا فارسل امير المسلمين الى متولّى سجلماسة يامره ان يحضر ومعه الجيوش فجمع جيشًا كثيرًا وسار فلمّا قارب عسكر المهدى خرج اهل مرّاكش من غير الجهة التى اقبل منها فاقتتلوا واشتدّ القتال وكثر القتل فى اصحاب المهدى فقُتل الونشريشىُّ اميرهم فاجتمعوا الى عبد المومن وجعلوه اميرًا عليهم ولم يزل القتال بينهم عامّة النهار وصلّى عبد المومن صلوة الخوف الظُهر والعصْر والحرب قايمة ولم تصلّ بالمغرب قبل ذلك فلمّا رأى المصامدة كثرة المرابطين وقوّتهم اسندوا ظهورهم الى بستان كبير هناك والبستان يُسمّى عندهم البحيرة فلهذا قيل وقعة البحيرة وعام البُحيرة وصاروا يقاتلون من جهة واحدة الى ان ادركهم الليل وقد قُتل من المصاعدة اكثرهم وحين قُتل الونشريشىُّ دفنه عبد المومن فطلبه المصامدة فلم يروه فى القتلى فقالوا رفعتْه الملايكة ولمّا جنّهم الليل سار عبد المومن ومن سلم من القتْلَى الى الجبل۞

ذكر وفاة المهدى وولاية عبد المومن

لمّا سيّر الجيش الى حصار مرّاكش مرض مرضًا شديدًا فلمّا بلغه خبر الهزيمة اشتدّ مرضه وسأل عن عبد المومن فقيل هو سالم فقال ما مات احد الامر قايم وهو الذى يفتح البلاد، ووصّى اصحابه باتباعه وتقديمه وتسليم الامر اليه والانقياد له ولقّبه امير المومنين ثم مات المهدى وكان عمره احدى وخمسين سنة وقيل خمس وخمسين سنة ومدّة ولايته عشرين سنة وعاد عبد المومن الى تينملل واقام بها يتألّف القلوب ويحسن الى الناس وكان جوادًا

مقداماً فى الحروب ثابتا فى الهزاهز الى ان دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسماية فتجهّز وسار فى جيش كثير وجعل يمشى مع الجبل الى ان وصل الى تادلة فمانعه اهلها وقاتلوه فقهرهم وفتحها وساير البلاد لله تليها ومشا فى الجبال يفتح ما امتنع عليه واطاعه صنهاجة الجبل، وكان امير المسلمين قد جعل ولىّ عهده ابنه سير فمات فاحضر امير المسلمين ابنه تاشفين من الاندلس وكان اميرًا عليها فلمّا حضر عنده جعله ولىّ عهده سنة احدى وثلاثين وجعل معه جيشًا وصار يمشى فى الصحرآء قبالة عبد المومن فى الجبال وفى سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المومن فى النواظر وهو جبل عالٍ مشرفٌ وتاشفين فى الوطاة ويخرج من الطايفتَيْن قوم يترامون ويتطاردون ولم يكن بينهما لقآء ويسمّى عام النواظر، وفى سنة ثلاث وثلاثين توجّه عبد المومن مع الجبل فى الشعرآء حتّى انتهى الى جبل كرناطة فنزل فى ارض صُلبة بين شاجر ونزل تاشفين قبالته فى الوطاة فى ارض لا نبات فيها وكان الفصل شاتيًا فتوالت الامطار ايّامًا كثيرة لا يقلع فصارت الارض لله فيها تاشفين واصحابه كثيرة الوحل تسوخ فيها قوايم الخيل الى صدورها ويعجز الرجل عن المشى فيها وتقطّعت الطرق عنهم فاوقدوا رماحهم وقرابيس سروجهم وهلكوا جوعًا وبردًا وسوء حال، وكان عبد المومن واصحابه فى ارض خشنة صلبة فى الجبل لا يبالون بشىء والميرة متّصلة اليهم، وفى ذلك الوقت سيّر عبد المومن جيشًا الى وجرة من اعمال تلمسان ومقدّمهم ابو عبد الله محمّد بن رقوا وهو من ايت خمسين فبلغ خبرهم الى محمّد بن يحيى بن فانو[1] متولّى تلمسان فخرج فى جيش من الملثّمين فالتقوا بموضع يعرف بخندق الخمر فهزمهم جيش عبد المومن وقُتل محمّد بن يحيى وكثير من اصحابه وغنموا ما معهم ورجعوا، فتوجّه عبد المومن

---

[1]) C. P. فسادوا ; Bodl. فانوا.

Digitized by Google

بجميع جيشه الى غمارة فاطاعوه قبيلة بعد قبيلة واقام عندهم مدّة وما برح يمشى فى الجبال وتاشفين يحاذيه فى الصحارى فلم يزل عبد المومن كذلك الى سنة خمس وثلاثين فتوفّى امير المسلمين علىّ ابن يوسف بمرّاكش وملك بعده ابنه تاشفين فقوى طمع عبد المومن فى البلاد الّا انّه لم ينزل الصحراء وفى سنة ثمان وثلاثين توجّه عبد المومن الى تلمسان فنازلها وضرب خيامه فى جبل باعلاها ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد وكان بينهم مناوشة فبقوا كذلك الى سنة تسع وثلاثين فرحل عبد المومن عنها الى جبل تاجرة ووجّه جيشًا مع عمر الهنتاتىّ الى مدينة وهران فهاجمها بغتةً وحصل هو وجيشه فيها فسمع فسار اليها فخرج منها عمر ونزل تاشفين بظاهر وهران على البحر فى شهر رمضان سنة تسع وثلاثين فجاتْ ليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة يعظّمها اهل المغرب وبظاهر وهران ربوة مطلّة على البحر وباعلاها ثنيّة يجتمع فيها المتعبّدون وهو موضع معظّم عندهم فسار اليه تاشفين فى نفر يسير من اصحابه متخفّيًا لم يعلم به الّا النفر الذين معه وقصد التبرّك بحضور ذلك الموضع مع اوليك الجماعة الصالحين فبلغ الخبر الى عمر بن يحيى الهنتاتىّ فسار لوقته بجميع عسكره الى ذلك المتعبّد واحاطوا به وملكوا الربوة فلمّا خاف تاشفين على نفسه ان ياخذوه ركب فرسه وحمل عليه الى جهة البحر فسقط من جُرف عالٍ على الحجارة فهلك ورُفعت جثّته على خشبة وقُتل كلّ من كان معه، وقيل انّ تاشفين قصد حصنًا هناك على رابية وله فيه بستان كبير فيه من كلّ الثمار فاتّفق انّ عمر الهنتاتىّ مقدّم عسكر عبد المومن سيّر سريّةً الى ذلك الحصن يعلمهم بضعف مَن فيه ولم يعلموا انّ تاشفين فيه فالقوا النار فى بابه فاحترق فاراد تاشفين الهرب فركب فرسه فوثب الفرس من داخل الحصن الى خارج السور فسقط فى النار فأُخذ تاشفين فاعترف فارادوا حمله الى عبد المومن فمات فى الحال لانّ رقبته كانت قد

Digitized by Google

اندقّت فصُلب وقُتل كلّ من معه وتفرّق عسكره ولم يَعُدْ لهم جماعة، وملك بعده اخوه اسحاق بن علىّ بن يوسف، ولمّا قُتل تاشفين ارسل عمر الى عبد المومن بالخبر فجآء من تاجرة فى يومه بجميع عسكره وتفرّق عسكر امير المسلمين واحتمى بعضهم بمدينة وهران فلمّا وصل عبد المومن دخلها بالسيف وقتل فيها ما لا يحصى، ثمّ سار الى تلمسان وهما مدينتان بينهما شوط فرس احدهما تاجرت [1] وبها عسكر المسلمين والاخر اقادير وهى بنآء قديم فامتنعت اقادير وغلقت ابوابها وتاهّب اهلها للقتال واما تاجرت [2] فكان فيها يحيى بن الصحراويّة فهرب منها بعسكره الى مدينة فاس وجآء عبد المومن اليها فدخلها لمّا فرّ منها العسكر ولقيه اهلها بالخضوع والاستكانة فلم يقبل منهم ذلك وقتل اكثرهم ودخلها عسكره ورتّب امرها ورحل عنها وجعل على اقادير جيشًا يحصرها، وسار الى مدينة فاس سنة اربعين فنزل على جبل مطلّ عليها وحصرها تسعة اشهر وفيها يحيى بن الصحراويّة وعسكره الذين فرّوا من تلمسان فلمّا طال مقام عبد المومن عمد الى نهر يدخل البلد فسكره بالاخشاب والتراب وغير ذلك فمنعه من دخول البلد وصار بُحيرة تسير فيها السفن ثمّ هدم السكر فجآء المآء دفعةً واحدة فخرّب سور البلد وكلّما يجاوز النهر من البلد واراد عبد المومن ان يدخل البلد فقاتله اهله خارج السور فتعذّر عليه ما قدره من دخوله، وكان بفاس عبد الله بن خيار [3] الجيانىّ [4] عاملًا عليها وعلى جميع اعمالها فاتّفق هو وجماعة من اعيان البلد وكاتبوا عبدَ المومن فى طلب الامان لاهل فاس فاجابهم اليه ففتحوا له بابًا من ابوابها فدخله عسكره وهرب يحيى بن الصحراويّة وكان فتحها آخر سنة اربعين وخمسماية وسار الى طنجة ورتّب عبد المومن امر مدينة فاس وامر فنودى فى اهلها

---

[1]) Cod. C. P. تاعرت in marg. تامردت; Bodl. تامررت. [2]) Cod. C. P. تامررت; Bodl. تاقررت. [3]) Cod. sine punctis. [4]) Cod. الجبانى.

Digitized by Google

مَن ترك عنده سلاحًا وعدّة قتال حلّ دمه فحمل كلّ من فى البلد ما عندهم من سلاح اليه فاخذه منهم، ثم رجع الى مكناسة ففعل باهلها مثل ذلك وقتل من بها من الفرسان والاجناد، واما العسكر الذى كان على تلمسان فانهم قاتلوا اهلها ونصبوا المجانيق وابراج الخشب وزحفوا بالدبابات وكان المقدّم على اهلها الفقيه عثمان فدام الحصار نحو سنة فلمّا اشتدّ الامر على اهل البلد اجتمع جماعة منهم وراسلوا الموحّدين اصحاب عبد المومن بغير علم الفقيه عثمان وادخلوهم البلد فلم يشعر اهله الّا والسيف ياخذهم فقتل اكثر اهله وسبيت الذرّية والحريم ونهب من الاموال ما لا يُحصى ومن الجواهر ما لا تحدّ قيمته ومن لم يقتل بيع باوكس الاثمان وكان عدّة القتلى ماية الف قتيل وقيل انّ عبد المومن هو الذى حصر تلمسان وسار منها الى فاس والله اعلم، وسيّر عبد المومن سريّة الى مكناسة فحصروها مدّة ثم سلّمها اليهم اهلها بالامان فوفوا لهم، وسار عبد المومن من فاس الى مدينة سلا ففتحها وحصر عنده جماعة من اعيان سبتة فدخلوا فى طاعته فاجابهم الى بذل الامان وكان ذلك سنة احدى واربعين ✿

ذكر ملك عبد المومن مدينة مرّاكش

لمّا فرغ عبد المومن من فاس وتلك النواحى سار الى مرّاكش وهى كرسىّ مملكة الملثّمين وهى من اكبر المدن واعظمها وكان صاحبها حينيذ اسحاق بن علىّ بن يوسف بن تاشفين وهو صبىّ فنازلها وكان نزوله عليه سنة احدى واربعين فضرب خيامه فى غربيّها على جبل صغير وبنا عليه مدينة له ولعسكره وبنا بها جامعًا وبنا له بناء عاليًا شرف منه على المدينة ويرى احوال اهلها واحوال المقاتلين من اصحابه وقاتلها قتالًا كثيرًا واقام عليها احد عشر شهرًا فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد واشتدّ الجوع على اهله وتعذّرت الاقوات عندهم ثم زحف اليهم يومًا وجعل

Digitized by Google

لهم كمينًا وقال لهم اذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا وجلس هو باعلى المنظرة التى بناها يشاهد القتال وتقدّم عسكره وقاتلوا وصبروا ثم انّهم انهزموا لاهل مرّاكش ليتبعوهم الى الكمين الذى لهم فتبعهم الملثّمون الى ان وصلوا الى مدينة عبد المومن فهدموا اكثر سورها وصاحت المصامدة بعبد المومن ليامر بضرب الطبل ليخرج الكمين فقال لهم اصبروا حتّى يخرج كلّ طامعٍ فى البلد فلمّا خرج اكثر اهله امر بالطبل فضُرب وخرج الكمين عليهم ورجع المصامدة المنهزمون الى الملثّمين فقتلوهم كيف شاووا وعادت الهزيمة على الملثّمين فات فى زحمة الابواب ما لا يحصيه الّا الله سبحانه، وكان شيوخ الملثّمين يدبّرون دولة اسحاق بن علىّ بن يوسف لصغر سنّه فاتّفق انّ انسانًا من جملتهم يقال له عبد الله بن ابى بكر خرج الى عبد المومن مستامنًا واطلعه على عوراتهم وضعفهم فقوى الطمع فيهم واشتدّ عليهم البلاء ونصب عليهم المنجنيقات والابراج وفنيت اقواتهم واكلوا دوابّهم ومات من العامّة بالجوع ما يزيد على ماية الف انسان فانتن البلد من ريح الموتى وكان بمرّاكش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدوا بهم فجاّوا اليهم نجدةً فلمّا طال عليهم الامر راسلوا عبد المومن يسألون الامان فاجابهم اليه ففتحوا له بابًا من ابواب البلد يقال له باب اغمات فدخلت عساكره بالسيف وملكوا المدينة عنوةً وقتلوا من وجدوا ووصلوا الى دار امير المسلمين فاخرجوا الامير اسحاق وجميع من معه من امرآء المرابطين فقُتلوا وجعل اسحاق يرتعد ويسأل عنه رغبة فى البقاء ويدعوا لعبد المومن ويبكى فقام اليه الامير سير بن الحاجّ وكان الى جانبه مكتوفًا فبزق فى وجهه وقال تبكى على ابيك وامّك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدينه بدين، فقام الموحّدون اليه بالخشب فضربوه حتّى قتلوه وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة وقُدّم اسحاق على صغر سنّه فضُربت عنقه سنة اثنتين واربعين وهو آخر ملوك المرابطين

Digitized by Google

وبه انقرضت دولتهم وكانت مدّة ملكهم سبعين سنة وولى منهم اربعة يوسف وعلىّ وتاشفين واسحاق، ولمّا فتح عبد المومن مرّاكش اقام بها واستوطنها واستقرّ ملكه، ولمّا قتل عبد المومن من اهل مرّاكش فاكثر فيهم القتل اختفى كثير من اهلها فلمّا كان بعد سبعة ايّام امر فنودى بامان من بقى من اهلها فخرجوا فاراد اصحابه المصامدة قتلهم فنعهم وقال هولآء صنّاع واهل الاسواق مَن ننتفع به فتركوا وامر باخراج القتلى من البلد فاخرجوهم وبنا بانقصر جامعًا كبيرًا وزخرفه فاحسن عمله وامر بهدم الجامع الذى بناه امير المسلمين يوسف بن تاشفين، ولقد اساء يوسف بن تاشفين فى فعله بالمعتمد ابن عبّاد وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة اقبح مركب فلا جَرْمَ سلّط الله اعقابه مَنْ ارى فى الاخذ عليه وزاد فتبارك الحىّ الدايم الملك الذى لا يزول ملكه وهذه سُنّة الدنيا فافّ لها ثمّ افّ نسأل الله ان يختم اعمالنا بالحُسنى ويجعل خير ايّامنا يوم نلقاه بمحمّد وآله ۞

ذكر ظفر عبد المومن بدكّالة

فى سنة ثلاث واربعين وخمسماية سار بعض المرابطين من الملثّمين الى دكّالة فاجتمع اليه قبايلها وصاروا يغيرون على اعمال مرّاكش وعبد المومن لا يلتفت اليهم فلمّا كثر ذلك منهم سار اليهم سنة اربع واربعين فلمّا سمعت دكّالة بذلك انحشروا كلّهم الى ساحل البحر فى مايتَىْ الف راجل وعشرين الف فارس وكانوا موصوفين بالشجاعة وكان مع عبد المومن من الجيوش ما يخرج عن الحصر وكان الموضع الذى فيه دكّالة كثير الحجر والحُزونة فكمنوا فيه كمنآء ليخرجوا على عبد المومن اذا سلكه فن الاتّفاق الحسن له انّه قصدهم من غير الجهة التى فيها الكمنآء فاحلّ عليهم ما قدروه وفارقوا ذلك الموضع فاخذهم السيف فدخلوا البحر فقُتل اكثرهم وغُنمت ابلهم واغنامهم واموالهم وسُبى نساؤهم وذراريهم فبيعت الجارية الحسنآء بدراهم يسيرة

وعاد عبد المومن الى مرّاكش مظفّرًا منصورًا وثبتت ملكه وخافه الناس فى جميع المغرب واذعنوا له بالطاعة ۞

ذكر حصر مدينة كُتندة

فى هذه السنة يعنى سنة اربع عشرة وخمسماية خرج ملك من ملوك الفرنج بالاندلس يقال له ابن ردمير فسار حتّى انتهى الى كُتندة وهى بالقرب من مُرسية فى شرق الاندلس فحصرها وضيّق على اهلها وكان امير المسلمين علىّ بن يوسف حينيذ بقرطبة ومعه جيش كثير من المسلمين والاجناد المتطوّعة فسيّرهم الى ابن ردمير فالتقوا واقتتلوا اشدّ القتال وهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة وكثر القتل فى المسلمين وكان فيمن قُتل ابو عبد الله بن الفرّآء قاضى المريّة وكان من العلمآء العاملين والزهّاد فى الدنيا العادلين فى القضآء ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة كسر بلك بن ارتق عفراس الرومىّ وقتل من الروم خمسة الاف رجل * على قلعة سرمان من بلد اندكان (ا) [1] وأُسر عفراس وكثير من عسكره، وفيها اغار جوسلين الفرنجىّ صاحب الرها على جيوش العرب والتركمان وكانوا نازلين بصفّين غربىّ الفرات وغنم من اموالهم وخيلهم ومواشيهم شيًا كثيرًا ولمّا عاد خرّب بزاعة، وفيها تسلّم اتابك طغتكين صاحب دمشق مدينة تدمر والشقيف، وفيها امر السلطان محمود الامير جيوش بك بالمسير الى حرب اخيه طغرل فسار اليه فسمع طغرل واتابكه كنتغدى ذلك فسارا الى كنجة من بين يدَىْ العسكر ولم يجْرِ قتالٌ، وفيها فى المحرّم توفّى خالصة الدولة ابو البركات احمد بن عبد الوهّاب بن السيبىّ صاحب المخزن ببغداذ وولى مكانه الكمال ابو الفتوح حمزة بن طلحة المعروف بابن البقشلام والد علم الدين الكاتب المعروف، وفى جمادى

---

1) Om. Bodl.

Digitized by Google

الاولى منها توفّى ابو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القُشَيْرِىّ الامام بن الامام وكان اخذ العلم من قراببه والطريقة ايضًا ثم استفاد ايضًا من امام الحرَمَيْن ابى المعالى الجوينىّ وسمع الحديث من جماعة ورواه وكان حسن الوعظ سريع الخاطر ولمّا توفّى جلس الناس فى البلاد البعيدة للعزآء به حتّى فى بغداذ برباط شيخ الشيوخ ✿

ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسماية ✿ سنة ٥١٥

ذكر اقطاع البُرسقىّ الموصل

فى هذه السنة فى صفر اقطع السلطان محمود مدينة الموصل واعمالها وما ينضاف اليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الامير آقسنقر البُرسقىّ، وسبب ذلك انّه كان فى خدمة السلطان محمود ناصحًا له ملازمًا له فى حروبه كلّها وكان له الاثر الحسن فى الحرب المذكورة بين السلطان محمود واخيه الملك مسعود وهو الذى احضر الملك مسعود عند اخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولمّا حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير امير ولّى عليها البرسقىّ وتقدّم الى سايِر الامرآء بطاعته وامره بمجاهدة الفرنج وأَخْذ البلاد منهم فسار اليها فى عسكر كثير وملكها واقام يدبّر امورها ويصلح احوالها ✿

ذكر وفاة الامير علىّ وولاية ابنه الحسن افريقية

فى هذه السنة توفّى الامير علىّ بن يحيى بن تميم صاحب افريقية فى العشر الآخر من ربيع الآخر وكان مولده بالمهديّة وقد تقدّم من حروبه واعماله ما يستدلّ به على علوّ همّته ولمّا توفّى ولى الملك بعده ابنه الحسن بعهد ابيه وقام بامر دولته صندل الخصىّ لانّه كان عمره حينيذ اثنتى عشرة سنة لا يستقلّ بتدبير الملك فقام صندل فى الحفظ والاحتياط فلم تطُلْ ايّامه حتّى توفّى فوقع الاختلاف بين اصحابه وقوّاده كلّ منهم يقول انا المقدّم على الجميع وبيدى الحلّ والشدّ فلم يزالوا

Digitized by Google

كذلك الى ان فوّض امور دولته الى قايد من اصحاب ابيه يقال له ابو عزيز موفّق فصلحت الامور ❁

ذكر قتل امير الجيوش

فى هذه السنة فى الثالث والعشرين من رمضان قُتل امير الجيوش الافضل بن بدر الجمالىّ وهو صاحب الامر والحكم بمصر وكان ركب الى خزانة السلاح ليفرّقه على الاجناد على جارى العادة فى الاعياد فسار معه عالم كثير من الرجّالة والخيّالة فتاذّى بالغبار فامر بالبعد عنه وسار منفردًا معه رجلان فصادفه رجلان بسوق الصياقلة فضرباه بالسكاكين فجرحاه وجآء الثالث من ورآيه فضربه بسكّين فى خاصرته فسقط عن دابّته ورجع اصحابه فقتلوا الثلاثة وحملوه الى دار الافضل فدخل عليه الخليفة وتوجّع له وسأله عن الاموال فقال امّا الظاهر منها فابو الحسن بن أُسامة الكاتب يعرفه وكان من اعل حلب وتولّى ابوه قضآء القاهرة وامّا الباطنة فابن البطايحىّ يعرفه فقالا صدق فلمّا توفّى الافضل نُقل من امواله ما لا يعلمه الّا الله تعالى وبقى الخليفة فى داره نحو اربعين يومًا والكتّاب بين يدَيْه والدوابّ تحمل وتنقل ليلًا ونهارًا ووجد له من الاعلاق النفيسة والاشيآء الغريبة القليلة الوجود ما لا يوجد مثله لغيره واعتقل اولاده وكان عمره سبع وخمسين سنة وكانت ولايته بعد ابيه ثمان وعشرين سنة منها آخر ايّام المستنصر وجميع ايّام المُسْتَعلى الى هذه السنة من ايّام الآمر وكان الاسماعيليّة يكرهونه لاسباب منها تضييعه على امامهم وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم ومنها ترْك معارضة اهل السُنّة فى اعتقادهم والنهى عن معارضتهم واذنه للناس فى اظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباآء ببلاد مصر، وكان حسن السيرة عادلًا حُكى انّه لمّا قُتل وظهر الظلم بعده اجتمع جماعة واستغاثوا الى الخليفة وكان من جملة قولهم انّهم لعنوا الافضل فسألهم عن سبب لعنهم اياه فقالوا انّه عدل واحسن السيرة ففارقنا بلادنا واوطاننا

وقصدنا بلده لعدله فقد اصابنا بعده هذا الظلم فهو كان سبب ظلمنا، فاحسن للخليفة اليهم وامر بالاحسان الى الناس، ومنها انّ صاحبه الآمر باحكام الله صاحب مصر وضع عليه وسبب ذلك ما ذكرناه قبلُ ففسد الامر بينهما فاراد الآمر ان يضع عليه من يقتله اذا دخل عليه قصره للسلام او فى ايّام الاعياد فمنعه من ذلك ابن عمّه ابو الميمون عبد المجيد وهو الذى ولى الامر بعده بمصر وقال له فى هذا الفعل شناعة وسوء سُمعة لانّه قد خدم دولتنا هو وابوه خمسين سنة ولم يعلم الناس منهم الّا النُصح لنا والمحبّة لدولتنا وقد سار ذلك فى اقطار البلاد فلا يجوز ان يظهر منّا هذه المكافاة الشنيعة ومع هذا فلا بدّ وان نقيم غيره مكانه ونعتمد عليه فى منصبه متمكّن مثله او ما يقاربه فيخاف ان نفعل به مثل فعلنا بهذا فيحذر من الدخول الينا خوفًا على نفسه وان دخل علينا كان خايفًا مستعدًّا للامتناع وفى هذا الفعل منهم ما يسقط المنزلة والرآى ان تراسل ابا عبد الله بن البطايحىّ فانّه الغالب على امر الافضل والمطّلع على سرّه وتَعِده ان تولّيه منصبه وتطلب منه ان يدبّر الامر فى قتله لمن يقاتله اذا ركب فاذا ظفرنا بمن قتله قتلناه واظهرنا الطلب بدمه والحزن عليه فنبلغ غرضنا ويزول عنّا قبح الاحدوثة، ففعلوا ذلك فقُتل كما ذكرناه، ولمّا قُتل ولى بعده ابو عبد الله بن البطايحىّ الامر ولُقب المامون وتحكّم فى الدولة فبقى كذلك حاكمًا فى البلاد الى سنة تسع عشرة فصُلب كما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر عصيان سليمان بن ايلغازى على ابيه

فى هذه السنة عصا سليمان بن ايلغازى بن ارتق على ابيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة حمله على ذلك جماعة مَن عنده فسمع والده الخبر فسار مجدًّا لوقته فلم يشعر به سليمان حتّى هجم عليه فخرج اليه معتذرًا فامسك عنه وقبض على من كان اشار عليه

Digitized by Google

ذلك منهم امير كان قد التقطه ارتق والد ايلغازى وربّاه اسمه ناصر فقلع عينَيْه وقطع لسانه ومنهم انسان من اهل حماة من بيت قرناص كان قد قدّمه ايلغازى على اهل حلب وجعل اليه الرياسة فجازاه بذلك وقطع يدَيْه ورجلَيْه وسمل عينَيْه فمات واحضر ولده وهو سكران فاراد قتله فمنعه رقّة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق فارسل طغتكين يشفع فيه فلم يجبه الى ذلك واستناب بحلب سليمان بن اخيه عبد الجبّار بن ارتق ولقّبه بدر الدولة وعاد الى ماردين ۞

ذكر اقطاع ميّافارقين ايلغازى

فى هذه السنة اقطع السلطان محمود مدينة ميّافارقين للامير ايلغازى، وسبب ذلك انّه ارسل ولدَه حُسام الدين تمرتاش وعمره سبع عشرة سنة الى السلطان ليشفع فى دُبَيْس بن صدقة ويبذل عنه الطاعة وحَمْل الاموال والخيل وغيرها وان يضمن الحلّة كلّ يوم بالف دينار وفرس وكان المتحدّث عنه القاضى بهآء الدين ابو الحسن علىّ بن القاسم بن الشهرزورىّ فتردّد الخطاب فى ذلك ولم ينفصل حال فلمّا اراد العود اقطع السلطان اياه مدينة ميّافارقين وكانت مع الامير سكمان صاحب خلاط فتسلّمها ايلغازىّ وبقيت فى يده ويد اولاده الى ان ملكها صلاح الدين يوسف بن ايّوب سنة ثمانين وخمسماية سنذكر ذلك ان شآء الله تعالى ۞

ذكر حصر بلك بن بهرام الرُها واسر صاحبها

فى هذه السنة سار بلك بن بهرام ولد اخى ايلغازى الى مدينة الرها فحصرها وبها الفرنج وبقى على حصرها مدّة فلم يظفر بها فرحل عنها فجآه انسان تركمانىٌّ واعلمه انّ جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع مَن عنده من الفرنج وهو عازم على كبسه وكان قد تفرّق عن بلك اصحابه وبقى فى اربعماية فارس فوقف مستعدًّا لقتالهم واقبل الفرنج فمن لطف الله تعالى بالمسلمين انّ الفرنج وصلوا الى ارض قد نضب عنها المآء فصارت وحلًا غاصتْ خيولهم فيه فلم تتمكّن مع

ثقل السلاح والفرسان على الاسراع والجرى فرماهم اصحاب بلك بالنشّاب فلم يفلتْ منهم احد وأُسر جوسلين وجُعل فى جلد جمل وخُيّط عليه وطلب منه ان يسلّم الرها فلم يفعل وبذل فى فدآء نفسه اموالًا جزيلة واسرى كثيرة فلم يجبْهُ الى ذلك وحمله الى قلعة خرتبرت فسجنه بها وأُسر معه ابن خالته واسمه كليام وكان من شياطين الكفّار واسر ايضًا جماعةً من فرسانه المشهورين فسجنهم معه ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّيت جدّة السلطان محمود لابَيْه وهو والدة السلطان سنجر وكانت تركيّة تعرف بخاتون السفريّة وكان موتها بمرو فجلس محمود ببغداذ للعزآء بها وكان عزآء لم يشاهد مثله الناس، وفيها توفّى الخطير محمّد بن الحسين الميبذىّ ببلاد فارس وهو فى وزارة الملك سلجوق بن السلطان محمّد وكان قديمًا وزر للسلطانَيْن بركيارق ومحمّد وكان جوادًا حليمًا سمع انّ الابيوردىّ هجاه فلمّا سمع الهجوا مضّه فعضّ على ابهامه وصفح عنه وخلع عليه ووصله، وفيها توفّى الشهاب ابو المحاسن عبد الرزّاق بن عبد الله وزير السلطان سنجر وهو ابن اخى نظام الملك وكان يتفقّه قديمًا على امام الحرمَيْن الجوينىّ فكان يفتى ويوقّع ووزر بعده ابو طاهر سعد بن علىّ بن عيسى القمّىّ وتوفّى بعد شهور فوزر بعده عثمان القمّىّ، وفيها فى جمادى الاولى اوقع اتابك طغتكين بطايفة من الفرنج فقتل منهم واسر وارسل من الاسرى والغنيمة للسلطان وللخليفة، وفيها تصعصع الركن اليمانىّ من البيت الحرام زاده الله شرفًا من زلزلة وانهدم بعضه وتشعّث بعض حرم النبىّ صلعم وتشعّث غيرها من البلاد وكان بالموصل كثير منها، وفيها احترقت دار السلطان كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمّد ففرغتْ قبل وفاته بيسير فلمّا كان الآن احترقت وسبب الحريق انّ جارية كانت تختصب ليلًا فاسندت شمعة الى الخيش فاحترق وعلقت النار منه

Digitized by Google

فى الدار واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجر ما لا حدّ عليه من الجواهر والحلى والفرش والثياب واقيم الغسّالون يخلّصون الذهب وما امكن تخليصه وكان الجوهر جميعه قد هلك الّا الياقوت الاحمر وترك السلطان الدار لم تجدّدْ عمارتها وتطيّر منها لانّ اباه لم يتمتّع بها ثم احترق فيها من اموالهم الشىء العظيم واحترق قبلها باسبوع جامع اصبهان وهو من اعظم الجوامع واحسنها احرقه قوم من الباطنيّة ليلًا وكان السلطان قد عزم على اخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق باشارة الوزير السميرمىّ عليه بذلك فتجدّد من هذَيْن الحريقَيْن ما هاله واتّعظ فاعرض عنه، وفيها فى ربيع الآخر انقضّ كوكب عشآء وصار له نور عظيم وتفرق منه اعمدة عند انقضاضه وسُمع عند ذلك صوت هدّة عظيمة كالزلزلة، وفيها ظهر بمكّة انسان علوىٌّ وامر بالمعروف فكثر جمعه ونازع اميرَ مكّة ابن ابى هاشم وقوى امره وعزم على ان يخطب لنفسه فعاد ابن ابى هاشم وظفر به ونفاه عن الحجاز الى البحرَيْن وكان هذا العلوىّ من فقهآء النظاميّة ببغداذ، وفيها الزم السلطان اهل الذمّة ببغداذ بالغيار فجرى فيه مراجعات انتهت الى ان قرّر عليهم للسلطان عشرين الف دينار وللخليفة اربعة الاف دينار، وفيها حصر السلطان محمود واخوه الملك مسعود عند الخليفة فخلع عليهما وعلى جماعة من اصحاب السلطان منهم وزيره ابو طالب السميرمىّ وشمس الملك عثمان بن نظام الملك والوزير ابو نصر احمد ابن محمّد بن حامد المستوفى وعلى غيرهم من الامرآء، وفيها فى ذى القعدة وهو الحادى والعشرون من كانون الثانى سقط بالعراق جميعه من البصرة الى تكريت ثلج كثير وبقى على الارض خمسة عشر يومًا وسمكه ذراع وهلكت اشجار النارنج والاترج والليمون فقال فيه بعض الشعرآء

يا صُدُورَ الزمانِ ليس بوَفْرٍ ما رايناه فى نواحى العراقِ

انّما عمّ ظلمكم ساير الخلـــق فشابت ذوايبُ بالافاقِ [1] ،
وفيها هبّت بمصر ريح سوداء ثلاثة ايّام فاهلكت كثيرًا من الناس
وغيرهم من الحيوانات، وفيها توفّى ابو محمّد القاسم بن علىّ بن محمّد
ابن عثمان الحريرىّ صاحب المقامات المشهورة، وهزارسب بن عوض
الهروىّ وكان قد سمع الحديث كثيرًا ۞

ثمّ دخلت سنة ستّ عشرة وخمسماية، سنة ٥١٦

ذكر طاعة الملك طغرل لاخيه السلطان محمود

وفى المحرّم من هذه السنة اطاع الملك طغرل اخاه السلطان محمود
وكان قد خرج عن طاعته كما ذكرناه وقصد اذربيجان فى السنة
الخالية ليتغلّب عليها وكان اتابكه كنتغدى يحسّن له ذلك ويقوّيه
عليه فاتّفق انّه مرض وتوفّى فى شوّال سنة خمس عشرة وكان الامير
آقسنقر الاحمديلىّ صاحب مراغة عند السلطان محمود ببغداذ فاستاذنه
فى المضى الى اقطاعه فاذن له فلمّا سار عن السلطان ظنّ انّه يقوم
مقام كنتغدى من الملك طغرل فسار اليه واجتمع به واشار عليه
بالمكاشفة لاخيه السلطان محمود وقال له اذا وصلتَ الى مراغة اتّصل
بك عشرة الاف فارس وراجل، فسار معه فلمّا وصلوا الى اردبيل
أُغلقت ابوابها دونهم فساروا عنها الى قريب تبريز فاتاهم الخبر انّ
السلطان محمود سيّر الامير جيوش بك الى اذربيجان واقطعه البلاد
وانّه نزل مراغة فى عسكر كثيف من عند السلطان فلمّا تيقّنوا ذلك
عدلوا الى خُوَىْ وانتقض عليهم ما كانوا فيه وراسلوا الامير شيركير
الذى كان اتابك طغرل ايّام ابيه يدعونه الى انجادهم وقد كان كنتغدى
قبض عليه بعد موت السلطان محمّد على ما ذكرناه ثمّ اطلقه
السلطان سنجر فعاد الى اقطاعه ابهر وزنجان وكاتبوه فاجابهم واتّصل
بهم وسار معهم الى ابهر فلم يتمّ لهم ما ارادوا فراسلوا السلطان

---

[1]) Cod. الافاق.

Digitized by Google

بالطاعة فاجابهم الى ذلك فاستقرّت القاعدة اوّل هذه السنة وتمّت ۞

ذكر حال دُبَيْس بن صدقة وما كان منه

قد ذكرنا سنة اربع عشرة حال دبيس بن صدقة وصُلحه على يد يرنقُش الزكويّ ومقامه بالحلّة وعود يرنقش الى السلطان ومعه منصور بن صدقة اخو دبيس وولده رهينةً فلمّا علم الخليفة بذلك لم يرض به وراسل السلطانَ محمود فى ابعاد دبيس عن العراق الى بعض النواحى وتردّد الخطاب فى ذلك وعزم السلطان على المسير الى همذان فاعاد الخليفة الشكوى من دبيس وذكر انّه يطالب الناس بحقوده منها قتْل ابيه واخبار ان يُحصر السلطانُ آقسنقرَ البرسقيّ من الموصل ويولّيه شحنكيّة بغداد والعراق ويجعله فى وجه دبيس ففعل السلطان ذلك واحصر البرسقيّ فلمّا وصل اليه زوّجه والدة الملك مسعود وجعله شحنة بغداد وامره بقتال دبيس ان تعرّض الى البلاد وسار السلطان عن بغداد فى صفر من هذه السنة وكان مقامه ببغداد سنة وسبعة اشهر وخمسة عشر يومًا فلمّا فارق بغداد والعراق تظاهر دبيس بامور تاثّر بها المسترشد بالله وتقدّم الى البرسقيّ بالمسير اليه وازعاجه عن الحلّة فارسل البرسقيّ الى الموصل واحضر عساكره وسار الى الحلّة واقبل دبيس نحوه فالتقوا عند نهر بشير شرقىّ الفرات واقتتلوا فانهزم عسكر البرسقيّ وكان سبب الهزيمة انّه رأى فى ميسرته خللًا وبها الامرآء البكاجيّة فامر بالقآء خيمته وان تُنصَب عند الميسرة ليقوى قلوب من بها فلمّا رأوا الخيمة وقد سقطت ظنّوها عن هزيمة فانهزموا وتبعهم الناس والبرسقيّ، وقيل بل اعطى رقعة فيها انّ جماعةً من الامرآء منهم اسماعيل البكاجيّ يريدون الفتك به فانهزم وتبعه العسكر ودخل بغداد ثانى ربيع الآخر وكان فى جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذّب الدولة احمد بن ابى الجبر وكان ناظرًا بالبطيحة لريحان محكوَيْه خادم السلطان لانّها

كانت من جملة اقطاعه وحضر ايضًا المظفّر بن حمّاد بن ابى الجبر وبينهما عداوة شديدة فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك فقتله المظفّر ومضا الى واسط مختفيًا وسار منها الى البطيحة وتغلّب عليها وكاتب دبيسًا واطاعه، وامّا دبيس فانّه لم يعرض لنهر ملك ولا غيره وارسل الى الخليفة انّه على الطاعة ولو لا ذلك لاخذ البرسقىّ وجميع مَن معه وسأل ان يخرج الناظر الى القُرى لله الخاصّ الخليفة لقبض دَخْلها، وكانت الوقعة فى الحزيران وحمى البلد فاحمد الخليفة فعله وتردّدت الرسل بينهما فاستقرّت القاعدة ان يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين ابى علىّ بن صدقة ليعود الى الطاعة فقبض على الوزير ونُهبت داره ودور اصحابه والمنتمين اليه وهرب ابن اخيه جلال الدين ابو الرضا الى الموصل، ولمّا سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة اخى دبيس وولده ورفعهما الى قلعة برجين وهى تجاور كرج، ثمّ انّ دبيسًا امر جماعة من اصحابه بالمسير الى اقطاعهم بواسط فساروا اليها فنعهم اتراك واسط فجهّز دبيس اليهم عسكرًا مقدّمهم مهلهل بن ابى العسكر وارسل الى المظفّر بن ابى الجبر بالبطيحة ليتّفق مع مهلهل ويساعده على قتال الواسطيّين فاتّفقا على ان تكون الوقعة تاسع رجب وارسل الواسطيّون الى البرسقىّ يطلبون منه المدد فامدّهم بجيش من عنده وعجل مهلهل فى عسكر دبيس ولم ينتظر المظفّر ظنّا منه انّه بمفرده ينال منهم ما ارادوا وينفرد بالفتح فالتقى هو والواسطيّون ثامن رجب فانهزم مهلهل وعسكره وظفر الواسطيّون وأُخذ مهلهل اسيرًا وجماعة من اعيان العسكر وقُتل ما يزيد على الف قتيل ولم يقتل من الواسطيّين غير رجل واحد وامّا المظفّر بن ابى الجبر فانّه اصعد من البطيحة ونهب وافسد وجرى من اصحابه القبيح فلمّا قارب واسطًا سمع بالهزيمة فعاد منحدرًا، وكان فى جملة ما اخذ العسكر الواسطىّ من مهلهل تذكرة بخطّ دبيس يامره فيها بقبض المظفّر بن ابى الجبر ومطالبته باموال كثيرة

Digitized by Google

اخذها من البطيحة فارسلوا الخطّ الى المظفّر وقالوا هذا خطّ الذى تختاره وقد اسخطتَ الله تعالى والخلق كلّهم لاجله فمال اليهم وصار معهم فلمّا جرى على اصحاب دبيس من الواسطيّين ما ذكرناه شمّر عن ساعد فى الشرّ وبلغه انّ السلطان كحل اخاه فجزّ شعره ولبس السواد ونهب البلاد واخذ كلّ ما للخليفة بنهر ملك فاجلى الناس الى بغداذ وسار عسكر واسط الى النعمانيّة فاجلوا عنها عسكر دبيس واستولوا عليها وجرى بينهم هناك وقعة كان الظفر للواسطيّين وتقدّم الخليفة الى البرسقىّ بالتبريز الى حرب دبيس فبرّز فى رمضان وكان ما نذكره ان شا الله تعالى ۞

ذكر قتل السُميرمىّ

وفى هذه السنة قُتل الوزير الكمال ابو طالب السُميرمىّ وزير السلطان محمود سلخ صفر وكان قد برز مع السلطان ليسير الى همذان فدخل الى الحمّام وخرج بين يدَيْه الرجّالة والخيّالة وهو فى موكب عظيم فاجتاز بسوق المدرسة التى بناها خمارتكين النُتُشىّ واجتاز فى منفذ ضيّق فيه حظاير الشوك فتقدّم اصحابه لضيق الموضع فوثب عليه باطنىٌّ وضربه بسكّين فوقعت فى البغلة وهرب الى دجلة وتبعه الغلمان فخلا الموضع فظهر رجل آخر فضربه بسكّين فى خاصرته وجذبه عن البغلة الى الارض وضربه عدّة ضربات وعاد اصحاب الوزير فحمل عليهم رجلان باطنيّان فانهزموا منهما ثمّ عادوا وقد ذُبح الوزير مثل الشاة فحُمل قتيلًا وبه نيف وثلاثون جراحة وقُتل قاتلوه ولمّا كان فى الحمّام كان المنجّمون ياخذون له الطالع ليخرج فقالوا هذا وقت جيّد وان تاخّرتَ يفوت طالع السعد فاسرج وركب واراد ان ياكل طعامًا فمنعوه لاجل الطالع فقُتل ولم ينفعه قولهم وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة اشهر وانتهب ماله واخذ السلطان خزانته ووزّر بعده شمس الملك بن نظام الملك وكانت زوجة السُميرمىّ قد خرجت هذا اليوم فى موكب كبير معها نحو ماية جارية وجَمْع

Digitized by Google

من الخدم والجميع بمراكب الذهب فلما سمعن بقتله عُدْنَ حافيات حاسرات وقد تبدلن بالعزّ هوانًا، وبالمسرّة احزانًا، فسبحان من لا يزول مالُكًا، وكان السميرميّ ظالمًا كثير المصادرة للناس سيّء السيرة فلمّا قُتل اطلق السلطان ما كان جدّده من المكوس وما وضعه على التجار والباعة ☆

ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة علىّ بن طراد

فى جمادى الاولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة وقد تقدّم ذكره قبلُ وأُقيم نقيب النقباء شرف الدين علىّ بن طراد الزينبىّ فى نيابة الوزارة فارسل السلطان الى المسترشد بالله فى معنى وزارة نظام الملك ابى نصر احمد بن نظام الملك وكان اخو شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود فأُجيب الى ذلك واستوزر فى شعبان وكان قد وزر للسلطان محمّد سنة خمسماية ثم عُزل ولزم دارًا استجدّها ببغداذ الى الآن، فلمّا خلع على نظام الملك وجلس فى الديوان طلب ان يخرج ابنُ صدقة عن بغداذ فلمّا علم ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة ان يُسيّر الى حديثة عانة ليكون عند الامير سليمان بن مُهارش فأُجيب الى ما طلب وسار الى الحديثة فخرج عليه فى الطريق انسان من مفسدى التركمان يقال له يونس الخرّامىّ فاسره ونهب اصحابه فخاف الوزير ان يعلم دبيس فارسل الى يونس وبذل له مالًا ياخذه منه للعداوة التى بينهما فقرّر امره مع يونس على الف دينار يعجل منها ثلاثماية ويوخّر الباقى الى ان يرسله من الحديثة وراسل عامل بلد الفرات فى تخليصه وانفاذ من يَضْمن الباقى الذى عليه فاعمل العامل الحيلة فى ذلك فاحضر انسانًا فلّاحًا والبسه ثيابًا فاخرة وطيلسانًا واركبه وسيّر معه غلمانًا وامره ان يمضى الى يونس ويدّعى انّه قاضى بلد الفرات ويضمن الوزير منه بما باقى من المال فسار السوادىّ الى يونس فلمّا حضر عند الوزير ويونس احترماه وضمن السوادىّ الوزير منه وقال

له اقيم عندك الى ان يصل المال مع صاحب لك تنفذه مع الوزير فاعتقد يونس صدق ذلك واطلق الوزير ومعه جماعة من اصحابه فلمّا وصل الحديثة قبض على مَن معه منهم فاطلق يونس ذلك السوادىّ والمال الذى اخذه حتّى اطلق الوزير اصحابه وعلم الحيلة لانّه تمّت عليه ولمّا سار الوزير من عند يونس لقى انسانًا انكره فاخذه فراى معه كتابًا من دُبَيْس الى يونس يبذل ستّة الاف دينار ليسلّم الوزير اليه وكان خلاصه من اعجب الاشياء ❁

ذكر قتل جيوش بك

فى هذه السنة قُتل الامير جيوش بك الذى كان صاحب الموصل وقد ذكرنا خروجه على السلطان محمود وعوده الى خدمته فلمّا رضى عنه اقطعه اذربيجان وجعله مقدّم عسكره فجرى بينه وبين جماعة من الامرآء منافرة ومنازعات فاغروا به السلطان فقتله فى رمضان على باب تبريز وكان تركيًّا من مماليك السلطان محمّد عادلًا حسن السيرة ولمّا ولى الموصل والجزيرة كان الاكراد بتلك الاعمال قد انتشروا وكثر فسادهم وكثرت قلاعهم والناس معهم فى ضيق والطريق خايفة فقصدهم وحصر قلاعهم وفتح كثيرًا منها ببلد الهكاريّة وبلد الزّوزان وبلد البشنويّة وخافه الاكراد وتولّى قصدهم بنفسه فهربوا منه فى الجبال والشعاب والمضايق وامنت الطرق وانتشر الناس واطمانّوا وبقى الاكراد لا يجسرون يحملون السلاح لهيبته ❁

ذكر وفاة ايلغازى واحوال حلب بعده

فى هذه السنة فى شهر رمضان توفّى ايلغازى بن ارتق بميّافارقين وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين وملك ابنه سليمان ميّافارقين وكان بحلب ابن اخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبّار ابن ارتق فبقى بها الى ان اخذها ابن عمّه ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اقطع السلطان محمود الامير آقسنقر البُرسقىّ

Digitized by Google

مدينة واسط واعمالها مضافاً الى ولاية الموصل وغيرها ممّا بيده وشحنكيّة العراق فلمّا اقطعها البرسقيّ سيّر اليها عماد الدين زنكى بن آقسنقر الذى كان والده صاحب حلب وامره بحمايتها فسار اليها فى شعبان ووليها وقد ذكرنا اخبار زنكى فى كتاب الباهر فى ذكر ملكه وملك اولاده الذين هم ملوكنا الآن فينظر منه، وفيها ظهر مَعْدن نُحاس بديار بكر قريبًا من قلعة ذى القرنَيْن، وفيها زادت الفرات زيادة عظيمة لم يُعهَد مثلها فدخل الماء الى ربض قلعة جعبر وكانت الفرات حينيذ بالقرب منها فغرق اكثر دوره ومساكنه وحمل فرسًا من الربض والقاه من فوق السور الى الفرات، وفيها بنيت مدرسة بحلب لاصحاب الشافعيّ، وفيها توفّيت ابنة السلطان سنجر زوج السلطان محمود، وفيها فى شعبان قدم الى بغداذ البرهان ابو الحسن علىّ بن الحسين الغزنوىّ وعقد مجلس الوعظ فى جميع المواضع وورد بعده ابو القاسم علىّ بن يعلى العلوىّ ونزل رباط شيخ الشيوخ فوعظ فى جامع القصر والتاجيّة ورباط سعادة وصار له قبولٌ عند الحنابلة وحصل له مال كثير لانّه اظهر موافقتهم وورد بعده ابو الفتوح الاسفرآيينىّ ونزل برباط شيخ الشيوخ ايضًا ووعظ فى هذه المواضع وفى النظاميّة واظهر مذهب الاشعرىّ فصار له قبولٌ كثير عند الشافعيّة وحضر مجلسه الخليفة المسترشد بالله وسلّم اليه رباط الارجونيّة والدة المقتدى بالله بدرب زاخى، وفيها توفّى عبد الله بن احمد بن عمر ابو محمّد السمرقندىّ اخو ابى القاسم بن السمرقندىّ ومولده بدمشق سنة اربع واربعين واربعماية ونشا ببغداذ وسمع الصريفينىّ وابن النقور وغيرهما وسافر الكثير وكان حافظًا للحديث عالمًا به، وفى ذى الحجّة توفّى عبد القادر بن محمّد بن عبد القادر بن محمّد بن يوسف ابو طالب ومولده سنة ستّ وثلاثين واربعماية وسمع البرمكىّ والجوهرىّ والعشارىّ وكان ثقة حافظًا للحديث ۞

Digitized by Google

سنة ٥١٧ ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسماية

ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دُبَيْس

فى هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين دُبَيْس ابن صدقة، وكان سبب ذلك انّ دبيسًا اطلق عفيفًا خادم الخليفة وكان ماسورًا عنده وحمّله رسالة فيها تهديد للخليفة بارسال البرسقىّ الى قتاله وتقويّته بالمال وانّ السلطان كحل اخاه وبالغ فى الوعد ولبس السواد وجزّ شعره وحلف لينهبنّ بغداذ ويخرّبها فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة وغضب وتقدّم الى البرسقىّ بالتبريز الى حرب دبيس فبرز فى رمضان سنة ستّ عشرة وتجهّز الخليفة وبرز من بغداذ واستدعى العساكر فاتاه سليمان بن مُهارش صاحب الحديثة فى عُقيل واتاه قرواش بن مسلّم وغيرهما وارسل دبيس الى نهر ملك فنهب وعمل اصحابه كلّ عظيم من الفساد فوصل اهله الى بغداذ فامر الخليفة فنودى ببغداذ لا يتخلّف من الاجناد احد ومَن احبّ الجنديّة من العامّة فليحضر فجآء خلق كثير ففرّق فيهم الاموال والسلاح، فلمّا علم دبيس الحال كتب الى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضآء عنه فلم يجب الى ذلك وأُخرجت خيام الخليفة فى العشرين من ذى الحجّة من سنة ستّ عشرة فنادى اهل بغداذ النفير النفير الغزاة الغزاة وكثر الضجيج من الناس وخرج منهم عالم كثير لا يحصون كثرةً وبرز الخليفة رابع عشرين ذى الحجّة وعبر دجلة وعليه قبآء اسود وعمامة سودآء وطرحة وعلى كتفه البُردة وفى يده القضيب وفى وسطه منطقةٌ جديد صينىّ ونزل الخيام ومعه وزير نظام الدين احمد ابن نظام الملك ونقيب الطالبيّين ونقيب النقبآء علىّ بن طِراد وشيخ الشيوخ صدر الدين اسماعيل وغيرهم من الاعيان، وكان البرسقىّ قد نزل بقرية جهار طاق ومعه عسكره فلمّا بلغهم خروج الخليفة عن بغداذ عادوا الى خدمته فلمّا راوا الشمسة ترجّلوا باجمعهم وقبّلوا الارض بالبعد منه، ودخلت هذه السنة فنزل الخليفة مستهلّ المحرّم

بالحديثة بنهر الملك واستدعى البرسقيّ والامرآء واستخلفهم على المناصحة
في الحرب ثم ساروا الى النَيْل ونزلوا بالمباركة وعبّى البرسقيّ اصحابه
ووقف الخليفة من ورآء الجميع في خاصّته , وجعل دبيس اصحابه صفًّا
واحدًا ميمنة وميسرة وقلبًا وجعل الرجّالة بين يدى الحيّالة بالسلاح
وكان قد وعد اصحابَهُ بنهب بغداد وسبى النسآء فلمّا ترآئت
الفئتان بادر اصحاب دبيس وبين ايديهم الامآء يضربن بالدفوف
والمخانيث بالملاهي ولم ير في عسكر الخليفة غير قارئ ومسبّح وداعٍ
فقامت الحرب على ساق وكان مع اعلام الخليفة الامير كرباوى بن
خراسان وفي الساقة سليمان بن مُهارش وفي ميمنة عسكر البرسقيّ
الامير ابو بكر بن الياس مع الامرآء البكجيّة فحمل عنتر بن ابى
العسكر في طايفة من عسكر دبيس على ميمنة البرسقيّ فتراجعت
على اعقابها وقتل ابن اخ للامير ابى بكر البكجيّ وعاد عنتر وحمل
حملة ثانية على هذه الميمنة فكان حالها في الرجوع على اعقابها
كحالها الاوّل فلمّا رأى عسكر واسط ذلك ومقدّمهم الشهيد عماد
الدين زنكى بن آقسنقر حمل وهم معه على عنتر ومَن معه واتوهم من
ظهورهم فبقى عنتر في الوسط وعماد الدين وعسكر واسط من ورآيه
والامرآء البكجيّة بين يديه فأُسر عنتر وأُسر معه بريك بن زايدة
وجميع مَن معهما ولم يفلت احد، وكان البرسقيّ واقفًا على نشز
من الارض وكان الامير آق بورى في الكمين في خمسماية فارس فلمّا
اختلط الناس خرج الكمين على عسكر دبيس فانهزموا جميعهم والقوا
نفوسهم في المآء فغرق كثير منهم وقُتل كثير ولمّا رأى الخليفة اشتداد
الحرب جرّد سيفه وكبّر وتقدّم الى الحرب فلمّا انهزم عسكر دبيس
وحُملت الاسرى الى بين يدَيْه امر الخليفة ان تُضرب اعناقهم صبرًا
وكان عسكر دبيس عشرة الاف فارس واثنا عشر الف راجل وعسكر
البرسقيّ ثمانية الاف فارس وخمسة الاف راجل ولم يقتل من اصحاب
الخليفة غير عشرين فارسًا وحصل نسآء دبيس وسراريه تحت الاسر

Digitized by Google

سوى بنت ايلغازى وبنت عميد الدولة بن جهير فانّه كان تركهما في المشهد، وعاد الخليفة الى بغداذ فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة، ولمّا عاد الخليفة الى بغداذ ثار العامّة بها ونهبوا مشهد باب التبن وقلعوا ابوابه فانكر الخليفة ذلك وامر نظرًا امير الحاجّ بالركوب الى المشهد وتاديب من فعل ذلك وأخْذ ما نُهب ففعل واعاد البعض وخفى الباقى عليه، واما دبيس بن صدقة فانّه لمّا انهزم نجا بفرسه وسلاحه وادركته الخيل ففاتها وعبر الفرات فرأته امراة عجوز وقد عبر فقالت له دُبَيْر جيتَ فقال دُبَير من لم يجى، واختفى خبره بعد ذلك وأُرجف عليه بالقتل ثم ظهر امره انّه قصد غزية من عرب نجد فطلب منهم ان يحالفوه فامتنعوا عليه وقالوا انّا نسْخط الخليفة والسلطان فرحل الى المنتفق واتّفق معهم على قصد البصرة وأخْذها فساروا اليها ودخلوها ونهبوا اهلها وقُتل الامير سَخْت كمان مقدّم عسكرها واجلى اهلها فارسل الخليفة الى البرسقىّ يعاتبه على اهماله امر دبيس حتّى تمّ له من امر البصرة ما اخربها فتجهّز البرسقىّ للانحدار اليه فسمع دبيس ذلك ففارق البصرة وسار على البرّ الى قلعة جَعْبر والتحق بالفرنج وحضر معهم حصار حلب واطمعهم فى اخذها فلم يظفروا بها فعادوا عنها ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل بن السلطان محمّد فاقام معه وحسّن له قصد العراق وسنذكره سنة تسع وعشرين ان شآء الله تعالى ✿

ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب

فى هذه السنة فى صفر ملك الفرنج حصن الاثارب من اعمال حلب، وسبب ذلك انّهم كانوا قد اكثروا قصد حلب واعمالها بالاغارة والتخريب والتحريق وكان بحلب حينيذ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبّار بن ارتق وهو صاحبها ولم يكن له بالفرنج قوّة وخافهم فهادنهم على ان يسلّم الاثارب ويكفّوا عن بلاده فاجابوه الى ذلك وتسلّموا الحصن وتمّت الهدنة بينهم واستقام امر الرعيّة باعمال حلب

وجُلبت اليهم الاقوات وغيرها ولم تزل الاثارب بايدى الفرنج الى ان ملكها اتابك زنكى بن آقسنقر على ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر ملك بلك حرّان وحلب

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل ملك بلك بن بهرام مدينة حرّان وكان قد حصرها فلمّا ملكها سار منها الى مدينة حلب وسبب مسيره اليها انّه بلغه ان صاحبها بدر الدولة قد سلّم قلعة الاثارب الى الفرنج فعظم ذلك عليه وعلم عجزه عن حفظ بلاده فقوى طمعه فى ملكها فسار اليها ونازلها فى ربيع الاوّل وضايقها ومنع الميرة عنها واحرق زروعها فسلّم اليه ابن عمّه البلد والقلعة بالامان غرّة جمادى الاولى من السنة وتزوّج ابنة الملك رضوان وبقى مالكًا لها الى ان قُتل على ما نذكره ۞

ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بافريقية

قد ذكرنا انّ الامير علىّ بن يحيى صاحب افريقية لمّا استوحش من رجّار صاحب صقليّة جدّد الاسطول الذى له وكثر عَدده وعُدده وكاتب اميرَ المسلمين علىّ بن يوسف بن تاشفين بمرّاكش بالاجتماع معه على قصد جزيرة صقليّة فلمّا علم رجّار ذلك كفّ عن بعض ما كان يفعله، فاتّفق انّ عليًّا مات سنة خمس عشرة وولى ابنه الحسن وقد ذكرناه، فلمّا دخلت سنة ستّ سيّر امير المسلمين اسطولًا ففتحوا نقوطرة[1] بساحل بلاد قلورية فلم يشكّ رجّار ان عليًّا كان سبب ذلك فجدّ فى تعبير الشوانى والمراكب وحشد فاكثر ومنع من السفر الى افريقية وغيرها من بلاد الغرب فاجتمع له من ذلك ما لم يُعْهَدْ مثله قيل كان ثلاثماية قطعة فلمّا انقطعت الطريقُ عن افريقية توقّع الامير الحسن بن علىّ خروج العدوّ الى المهديّة فامر باتّخاذ العدد وتجديد الاسوار وجمع المقاتلة فاتاه من اهل البلاد

---

[1]) Cod. بقوطره.

Digitized by Google